

تحقيق
القول الصحيح في تخميس بردة المديح
تأليف

عائشة بنت يوسف الباعونية (922هـ)

د. مهدي عرار - أستاذ مشارك
دائرة اللغة العربية - جامعة بيرزيت

القسم الأول مقدمة التحقيق والدراسة

مصادر ترجمتها: جَلَّ المصادر التي وردت على القرن العاشر دراسة أو تاريخاً، أو اتخذت من أعلامه مضمارة للترجمة أو التناول، عرَّجت على ذكر شذرات من حياة الأديبة الفاضلة عائشة الباعونية، ولعلَّ إيراد مثل ذلك المطنب يطول في مثل هذا المقام المقتضب، فلأكتف بما أورده في الحاشية للدلالة على المطان التي تقتبس منها الترجمة والإحالة لمن أراد استزادة أو فضل بيان⁽¹⁾.

اسمها وكنيتها ونسبها: أما اسمها فعائشة، وأما كنيها فأُمَّ عبد الوهَّاب، وأما نسبها فالباعونية، وبذا تكتمل حلقة الاسم فنكون أمَّ عبد الوهَّاب عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني، نسبة إلى "باعون" القرية التابعة إلى عجلون في الأردن، والحقَّ أنَّها من سلالة أهل علم وأدب. ولعلَّ إجماله النَّظر في أربع ترجمات تعضد هذا المذهب المتقدم بيانه، أما أولى هذه التَّراجم فأبوها أبو المحاسن يوسف بن أحمد المقدسي الشافعي (805هـ-880هـ)⁽²⁾، وثانية التَّراجم أخوها بهاء الدِّين محمَّد بن يوسف الباعوني (916-857هـ)⁽³⁾،

(1) انظر ترجمتها: ابن طولون، محمد شمس الدين (953هـ/1546م)، والميرد، يوسف بن حسن (909هـ/1503م)، **متعة الأذهان من التمتع بالإقران بين الشيوخ والأقران**، انتقاء أحمد بن محمد الحصفكي (1003هـ)، تحقيق صلاح الدين خليل، ط1، دار صادر، بيروت، 1999م، 878/2، وابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم (971هـ/1563م)، **در الحبيب في تاريخ أعيان حلب**، تحقيق محمود الفاخوري ويحيى عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، 1973م، 1060، وحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (1067هـ/1657م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، 96، 732، 1081، 1232، وابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (1089هـ/1679م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط2، دار المسيرة، بيروت، 1979م، 8/111، والبغدادي، إسماعيل باشا بن محمد (1339هـ/1920م)، **هدية العارفين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، 436/5، والعملية، زينب، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999م، 64/2، والزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، 241/3، وكحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، 29/2، والجبوري، كامل، **معجم الشعراء**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، 25/3، وأحمد جمعة، نساء من التاريخ، 395، وإدارة البحث والإعداد، **تراجم أعلام النساء**، دار البشير ومؤسسة الرسالة، عمان، 1998م، 282، والوائل، عبد الحكيم، **موسوعة شاعرات العرب**، دار أسامة، عمان، 2001م، موسوعة شاعرات العرب، 384، ومهدي عرار، الفتح المبين في مدح الأمين، لعائشة الباعونية، (مقدمة المحقق)، 9-26، ومحمد الصوريكي، **عائشة الباعونية فاضلة الزمان**، وزارة الثقافة، عمان، 2006م، 45-11.

(2) انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ/1505م)، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، تحقيق فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، 1927م، 178، والسخاوي، محمد بن عبد الرحمن (902هـ/1497م)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ضبطه عبد اللطيف عبد الرحمن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، 272/10، والبغدادي، هدية العارفين، والزركلي، **الأعلام**، 215/8.

(3) انظر ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع، 81/10، والغزي، الكواكب السائرة، 73/1، وابن العماد، شذرات الذهب، 48/8، وجعله من وفيات (910هـ)، والبغدادي، هدية العارفين، 225/6، والزركلي، **الأعلام**،

وثالثتها عمّها برهان الدّين، إبراهيم بن أحمد بن ناصر الباعونيّ الدّمشقيّ (777هـ-870هـ)⁽¹⁾، ورابعتها عمّها شمس الدّين محمّد بن أحمد الباعونيّ⁽²⁾.

مولدها ووفاتها: لا تروي لنا المظانّ التي ترجمت لها شيئاً عن مولدها البتّة، فلم ندر سنة ولادتها على وجه الإحكام دون الإبهام، والأمر بالصدّد في سنة الوفاة، والذي لا ريب فيه أنّها ولدت في المئة الثامنة، ولعلّها في منتصفها، أو قبل ذلك، أو بعده بقليل، أمّا وفاتها فهي ثابتة على وجه التّعيين والإحكام، فقد كانت سنة (922هـ)، وتكتفي المظانّ بهذه الإلماحة اليسيرة الدّالة بالافتضاب عن سنة وفاتها، دون تعيين ظروفها، فكلّ ما جاء أنّها دخلت حلب سنة (922هـ)، والسّلطان الملك الأشرف قانصوه الغوريّ بها لمصلحة كانت لها عنده، فاجتمع بها من وراء حجاب البدر السيّوفيّ، وتلميذه الشّمس السّفيّريّ⁽³⁾، ثمّ عادت إلى دمشق وتوفّيت في السنّة المذكورة⁽⁴⁾، فدفنت بالصّالحية، والذي يتجلّى من قراءة أخبارها، والورود على ترجمتها، أنّها دمشقيّة المولد والنّشأة والوفاة.

تصانيفها:

"الإشارات الخفيّة في المنازل العليّة"، وهي أرجوزة في التّصوّف، اختصرت فيها "منازل السائرّين" للهرويّ⁽⁵⁾، و"بديعيّة"⁽⁶⁾، و"درّ الغائص في بحر الخصائص"، وهي منظومة رائيّة⁽⁷⁾، و"صلوات السّلام في فضل الصّلاة والسّلام"⁽⁸⁾، وهي أرجوزة لخصت فيها "القول البديع في الصّلاة على الحبيب الشّفيّع" للسّخاويّ،

(1) انظر ترجمته: السّخاوي، الضوء اللامع، 21/1، وابن العماد، شذرات الذهب، 309/7، والشوكاني، محمد بن علي (1250هـ/1834م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، 8/1، والبغدادي، هدية العارفين، 20/5، والزركلي، الأعلام، 30/1، وكامل الجبوري، معجم الشعراء، 16/1.

(2) انظر ترجمته: السّخاوي، الضوء اللامع، 100/7، وابن العماد، شذرات الذهب، 310/7، والبغدادي، هدية العارفين، 205/6، والزركلي، الأعلام، 334/5.

(3) انظر ترجمته: ابن العماد، شذرات الذهب، 448/10.

(4) انظر: الغزي، الكواكب السائرة، 293/1.

(5) انظر: ابن طولون، متعة الأذهان، 878/2، وابن الحنبلي، در الحبيب، 1062، والغزي، الكواكب السائرة، 288/1، وحاجي خليفة، كشف الظنون، 96/1، وابن العماد، شذرات الذهب، 111/8، والبغدادي، هدية العارفين، 436/5، والزركلي، الأعلام، 241/3، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، 29/2، وكامل الجبوري، معجم الشعراء، 25/3.

(6) انظر: ابن الحنبلي، در الحبيب، 1061، وابن العماد، شذرات الذهب، 112/8، وزينب العامليّة، الدر المنثور، 66/2، والزركلي، الأعلام، 241/3، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، 29/2، وكامل الجبوري، معجم الشعراء، 25/3.

(7) انظر: ابن الحنبلي، در الحبيب، 1061، والغزي، الكواكب السائرة، 288/1، وابن العماد، شذرات الذهب، 111/8، وحاجي خليفة، كشف الظنون، 732/1، والبغدادي، هدية العارفين، 436/5، والزركلي، الأعلام، 241/3، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، 29/2، وكامل الجبوري، معجم الشعراء، 25/3.

(8) انظر: ابن طولون، متعة الأذهان، 878/2، وابن الحنبلي، در الحبيب، 1062، والغزي، الكواكب السائرة، 288/1، وحاجي خليفة، كشف الظنون، 1081/2، وابن العماد، شذرات الذهب، 112/8، والبغدادي، هدية العارفين، 436/5.

و"الفتح الحقي من منح التلقي" (1)، وقد قال عنه ابن الحنبلي والغزوي: "يشتمل على كلمات لندية في معان سنية"، و"الفتح المبين في مدح الأمين" (2)، وقد قال عنها ابن الحنبلي: "ووضعت بديعية بديعة، قوافيها للسامع مطيعة، وشرحتها الشرح المشهور، العاري عن كشف معاني أبياتها عن القصور"، و"فتوح الحق في مدح سيد الخلق" (3)، و"فيض الفضل"، وهو ديوانها (4)، و"القول الصحيح في تخميس بردة المديح" (5)، و"لوايح الفتوح في أشرف ممدوح" (6)، و"الملاحح الشريفة في الآثار المنيفة" (7)، وفيه إشارات صوفية، ومعارف ذوقية، و"المورد الأهنى في المولد الأسنى"، ويسمى "مولد النبي للباغونية" (8)، و"نفائس الدرر في مدح سيد البشر" (9).

زمن تصنيف "القول الصحيح في تخميس بردة المديح" ونسبته:

لهذا التخميس زمانان: أولهما متعين على وجه الإحكام، وثانيهما غير متعين إلا على وجه من الإبهام. أما أولهما المحكم فقد عيّنته المصنفة بيدها ويخطها آخر النسخة الأم المعتمد عليها في هذا التحقيق، وهو ليلة الجمعة ثاني المحرم سنة إحدى وعشرين وتسع مئة، وكان ذلك في القاهرة، وأما الذي لا نقف عليه إلا بالإبهام فهو قبل هذا التاريخ؛ ذلك أنها أشارت -كما أشار بعض من وردوا على ترجمتها- إلى حادثة ألمت بها وهي مولية وجهها شطر مصر سنة (919هـ)، فقد أصيبت في كل شيء كان معها من كراريس ومؤلفات ففقدتها، وكان من بين ما فقد، بل اختلس التخميس المذكور، وبذا قد يكون لها تخميسان، وهذا المنوي تحقيقه أحدهما، وقد يكون لها تخميس واحد في نسختين تتباينان تباينا يسيرا أو كبيرا، وهما النسخة التي اختلست ففقدت، والنسخة التي حفظت فوصلت إلى أيدينا، وقد قالت في ذلك المصنفة في ديباجة "القول الصحيح في تخميس بردة

(1) انظر: ابن الحنبلي، در الحبيب، 1061، والغزوي، الكواكب السائرة، 288/1، وفيه "الفتح الحنفي"، وإخاله تصحيفا، وابن العماد، شذرات الذهب، 111/8، وحاجي خليفة، كشف الظنون، 1232/1، والبغدادي، هدية العارفين، 436/5، وفيه: "الفتح الخفي"، والزركلي، الأعلام، 241/3، وكامل الجبوري، معجم الشعراء، 25/3.

(2) انظر: ابن طولون، متعة الأذهان، 878/2، وقد خلط ابن طولون بين البديعية والشرح، فجعلها البديعية، وابن الحنبلي، در الحبيب، 1061، وابن العماد، شذرات الذهب، 112/8، والبغدادي، هدية العارفين، 436/5، وزينب العاملية، الدر المنثور، 66/2، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، 29/2، وكامل الجبوري، معجم الشعراء، 25/3.

(3) انظر: ابن طولون، متعة الأذهان، 878/2، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، 29/2.

(4) انظر: زينب العاملية، الدر المنثور، 66/2، والزركلي، الأعلام، 241/3، وكامل الجبوري، معجم الشعراء، 25/3.

(5) انظر: ابن طولون، متعة الأذهان، 878/2، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، 29/2.

(6) انظر: ابن طولون، متعة الأذهان، 878/2، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، 29/2، وفيه: "لوامع الفتوح".

(7) انظر: ابن الحنبلي، در الحبيب، 1061، والغزوي، الكواكب السائرة، 288/1، وابن العماد، شذرات الذهب، 111/8، والبغدادي، هدية العارفين، 436/5، والزركلي، الأعلام، 241/3، وفي هدية العارفين والأعلام "الآثار اللطيفة"، وكامل الجبوري، معجم الشعراء، 25/3.

(8) انظر: زينب العاملية، الدر المنثور، 66/2، والزركلي، الأعلام، 241/3، وكامل الجبوري، معجم الشعراء، 25/3.

(9) انظر: ابن طولون، متعة الأذهان، 878/2، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، 29/2.

المديح: "وكان مما امتنَّ الله به عليّ، وأحسن إليّ، أن أهلني لتخميسها في عنفوان الشَّباب، وشرفني بدخولي في مدَّاح هذا الجناح، واستمرَّ التَّخميس المذكور يتدرَّج في طيِّ ما لي من منظوم ومنثور، إلى أن قيَّد الله -تعالى- اختلاسته مع كتب ألَّفتها، وحفائق عن فتوحات الله تلقَّيتها، واتَّفاق ذلك كان في رحلتي إلى الديار المصريَّة بمنزلة يقال لها بلبيس من ضواحي القاهرة... ثمَّ في غضون القرار بتلك الديار، فتح الله -تعالى- بتخميس ثانٍ محكم المباني، مشحون برقائِق الألفاظ وجلائل المعاني، وإن كان هذا المرمى المذكور ممَّا تقصر عنه ذوات الخدور، فإنَّ فضل الله لا يتعلَّق بوجهة، ولا يتقيَّد بعلة، ورحمته لا ممسك لها بزلة، وقد استخرت الله -تعالى- في إثباته في هذا الكتاب خدمة لسيدِّ الأحاب، ورغبة في إجزال النَّصيب من منح التَّقريب"⁽¹⁾.

أما نسبة هذا التَّخميس المنويِّ تحقيقه فلا شية عليها ولا شبهة؛ إذ إنَّها قطعِيَّة الثَّبوت، وقد أتى عليها ابن طولون في "متعة الأذهان"⁽²⁾، وعمر كحالة في "معجم المؤلفين"⁽³⁾، ولا ينسى في هذا المقام النسبة التي أتبتتها أول النَّسخة التي خطَّتها الباعونيَّة بيدها وآخرها.

قيمة "القول الصَّحيح في تخميس بردة المديح": أمَّا قيمة هذا التَّخميس فتتجلَّى في ثلاث شعب:

أولاهها: قيمة أدبيَّة تتضاف إلى ما ألَّف في هذا المضمار، أعني المديح النَّبويَّة عامَّة، وما دار حول البردة البوصيريَّة خاصَّة، وتتجلَّى القيمة الأدبيَّة أيضا في أنَّ هذا التَّخميس مصدر أصيل من مصادر التَّعرِّف إلى فنِّ من فنون الأدب العربيِّ الشَّعريِّ، وتأتي قيمته في هذه الوجهة من أنه لم يكن محض نظريِّ، بل أنموذجا قائما برأسه من مثل التَّخميس النَّظميِّ، وتتجلَّى كذلك في أنَّ هذا التَّخميس مصدر شعريِّ أصيل يكاد يكون ديوانا شعريا مؤتلفا من قصيدة واحدة يمكن أن نسبغ عليها وصف "تخميسة" تسيّر بركب فنِّ التَّخميس، والتَّسبيغ، والتَّشطير، والمعارضة، وما انتسب إلى ذلك كلِّه، وثانيتها: كونه مصدرا أصيلا من مصادر التَّعرِّف إلى شعر عائشة الباعونيَّة التي وصفها بعض من ترجم لها بأنَّها في عصرها كالخنساء في الرِّتبة والقدمة. وثالثتها: أنَّ في هذا التَّخميس إبانة عن فكر الباعونيَّة؛ ذلك أنه مشتمل على مقولات صوفيَّة متوارثة، ومصطلحات مخصوصة حمالة لدلالات مخصوصة غدت كالرَّموز في طريق القوم.

موضوع التَّخميس ومضموناته: بين مضموني التَّخميس والنَّصَّ المخمس لحمة وثقى، وعُرِّا جامعة لا تنفصم؛ ذلك أنَّ التَّخميس بسط للقول وتطويل لموضوع البيت الواحد من النَّصَّ المخمس، فالأصل أنَّ المخمس يصل تخميسه بعد ثالث شطرة وصلا لغويا ومضمونيا يبنى عن مقدرته على مساوقة ما اجترحه من أشطار مع شطرتي البيت المراد تخميسه، ولذا يصحَّ في الفهم ويستقيم أن يقال إنَّ موضوع التَّخميس عامَّة إنَّما هو موضوع النَّصَّ الأصليِّ المراد تخميسه، وإذا كان ذلك كذلك، فإنَّ موضوع تخميس الباعونيَّة التي قدَّت له عنوان "القول الصَّحيح في تخميس بردة المديح" إنَّما هو موضوع بردة البوصيريِّ، وإنَّ مضموناته هي نفسها مضمونات البردة، وقد جعل البوصيريُّ بردته مؤتلفة من موضوعات فرعيَّة يجمعها خيط جامع هو المديح النَّبويِّ، فغدا موضوع تخميسها ومضموناته مطابقة لموضوع البردة الرِّئيس ومضموناتها، وهي على النَّحو النَّالي:

- القسم الأول: في الغزل وشكوى الغرام، وهو يبدأ بقول المصنِّفة:

كتمت عشقي فأضحى غير مكتم
بدمع عندي اللَّون منسجم

(1) انظر: عائشة الباعونيَّة، القول الصَّحيح في تخميس بردة المديح، اب-2.

(2) انظر: ابن طولون، متعة الأذهان، 878/2.

(3) انظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين، 29/2.

- وقال صحبي ووجدني صار كالعلم
 أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
- القسم الثاني: في التحذير من هوى النفس وذمها، وهو يبدأ بقول المصنفة:
 طوبى لنفس لعهد الله قد حفظت
 وحافظت وبغير الحق ما لفظت
 وللحظوظ بعين الميل ما لحظت
 فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهزم
- القسم الثالث: في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يبدأ بقول المصنفة:
 إلى متى ذا التماذي والكرام خلا
 نفسي تداعوا سراعا نحو خير ملا
 والقلب مني بما يلهيه قد شغلا
 ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم
- القسم الرابع: في مولده صلى الله عليه وسلم، وهو يبدأ بقول المصنفة:
 جلا الجمال لنا من أفق مظهره
 وحاز كل كمال سر مضمرة
 ومنذ وافى لنا في حين أعصره
 أبان مولده عن طيب عنصره يا طيب مفتتح منه ومختتم
- القسم الخامس: في معجزاته صلى الله عليه وسلم، وهو يبدأ بقول المصنفة:
 حقق تر آيه كالموج واردة
 ممتدة وإلى الإيمان قائدة
 من بعض ما قد رئي منها مشاهدة
 جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشي إليه على ساق بلا قدم
- القسم السادس: في شرف القرآن ومدحه، وهو يبدأ بقول المصنفة:
 يا جاهل الأمر والألباب قد قصرت
 عن حصر أوصاف من آياته بهرت
 قلبي الطروب بها أيان ما ذكرت
 دعني ووصفي آيات له ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم
- القسم السابع: في إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم، وهو يبدأ بقول المصنفة:
 يا من على الشمس قد فاقت صباحته
 وأعيت البلغا طرا فصاحته
 يا روح روح مواليه وراحته
 يا خير من يم العافون ساحته سعيا وفوق متون الأينق الرسم
- القسم الثامن: في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يبدأ بقول المصنفة:
 بنعمة الله مولانا ومنته
 قد أرسل الله هادينا برحمته

وفي رسالته من قدس حضرته

راعت قلوب العدا أنباء بعثته كنبأة أجفلت غفلا من الغم

- **القسم التاسع: في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو يبدأ بقول المصنفة:**

لما منيت بقلب في تقلبه

يرجو المراد ولم يظفر بمطلبه

قصدت طه وفي سيرى بمذهبه

خدمته بمديح أستقبل به ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم

- **القسم العاشر: في المناجاة وعرض الحاجات، وهو يبدأ بقول المصنفة:**

يا قبلة القلب مني في تقلبه

يا سرّ وصلته فضلا لمطلبه

يا نعم غوث له في ضيق مذهبه

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

بنية التخميس ولغته: أما بنية التخميس فمؤتلفة من خمس شطرات: ثلاث منها من تأليف المخمس، واثنان هما البيت المراد تخميسه، أما القافية فمتباينة بتباين عروض كلّ بيت مخمس، ومثال ذلك أنّ عروض مطلع البردة هو "سلم" المجرورة، فجاءت أواخر شطرات التخميس "مكتتم"، و"منسجم"، و"كالعلم":

كتمت عشقي فأضحى غير مكتم

بدمع عندي اللون منسجم

وقال صحبي ووجدني صار كالعلم

أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وفي البيت الثاني من البردة كان العروض "كاظمة"، فجاء عروض كلّ تخميس يطابقها حركة وقافية: "ملازمة"، و"حاكمة"، و"كالمة"، على النحو الآتي:

أم من لوايح أشواق ملازمة

أم من شجون هوى بالقتل حاكمة

أم من سيوف ملام فيك كالمة

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم

أما لغة الباعونية في هذا التخميس فهي أقرب إلى التقريرية والمباشرة، وليست مشتملة في الكثير الغالب على ألفاظ غريبة، ولا معان مستوحشة، ولا صور شعريّة، بل جاءت ألفاظها سهلة مأنوسة تقضي إلى القول بأنّ التخميس لا يرقى في لغته وصوره وجزائله رقي البردة المخمسة المعجبة التي ملأت الدنيا وشغلت الناس، فقد كانت "أعظم قصائده، وأروع فرائده، درة الشعر الفصيح وبردة المديح التي لم يشبهها سابق، ولم يقترب منها لاحق، وكم قصائد ألفت على غرارها، ونهجت طريقها، ونسجت على منوالها، ولكنها لم تصل إلى رتبة بردة البوصيري"⁽¹⁾.

أما ما أغفلته الباعونية، وإخالها قد نسيت ذلك نسيان الساهي، فهو تخميس بيتين من أبيات البردة

أولهما:

(1) انظر: أحمد عمر هاشم، بردة المديح المباركة، دار المقطم، القاهرة، 1995م، 7.

ومن تكن برسول الله نصرته
وثنائيهما:
إن تلقه الأسد في أجامها نجم

ومن يبع عاجلا منه بأجله
يبين له الغبن في بيع وفي سلم

نظرات في البردة وما دار حولها:

إذا ما ذكر البوصيري ذكرت البردة، وإذا ما ذكرت البردة ذكر البوصيري، وإذا ما ذكر المديح النبوي تبيّنت البردة المكانة العليا في هذا المضمرة، فقد تسنّمت البردة شعره خاصّة، والمديح النبوي عامّة، فكانت المنارة التي لا تطاول، والحق أنّ تجليات أثر البردة في الأدب العربيّ عامّة كبير ظاهر، وقد اتخذ أشكالاً ووجهات، ومن ذلك أنّها كانت باعثة من بواعث تخلّق فنّ "البديعيات" الذي سيأتي عليه فضل بيان مجلّ، وكانت باعثة من بواعث ولوج الشعراء في تخميسها، وتسبيحها، وتشطيرها، ومجاراتها، ومعارضتها، وكانت باعثة من بواعث تخلّق الشروح الكثيرة.

لننظر فيما يلي من تجليات:

أولاً: البردة والتخميس: ومن تجليات أثر البردة في الأدب العربيّ انصراف الشعراء والمبدعين إلى محاكاتها تشطيراً، وتخميساً، وتسبيحاً، وقد تجلّى هذا الأثر في ملحظين اثنين:

- أولهما: التآليف الشعريّة القائم على التخميس أو ما شاكل.
- وثانيهما التآليف الجمعيّة القائم على جمع أشعار التخميس في مجموعات على شكل كتاب ينظم عقدها⁽¹⁾.

ومن أمثلة الضرب الأول: أولاً: تخميس طاهر بن الحسين بن عمر الحلبيّ، المشهور بابن حبيب(808هـ)⁽²⁾، وقد استفتحه بقوله:

يا باكيا قرح الأجفان بالألم

وشاكيا من غرام فيه لم يلم

ومن له الوجد وافى ملقي السلم

أمن تذكّر جيران بذبي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلّة بدم⁽³⁾

ثانياً: تخميس عبد اللطيف بن أحمد القاهريّ الحلبيّ الشافعيّ(801هـ)⁽⁴⁾، وقد استفتحه بقوله:

(1) كفاني مؤنة هذا المطلب حاجي خليفة في كشف الظنون، فقد أتى على البردة معرجاً على كثير من شروحها وتخميسها وما تخلّق عنها من أعمال، 1331/2-1336، وكذلك أسعد الطيب في بحثه القيم الجامع الذي أتى فيه على كثير من شروحها وتخميسها وترجماتها، وهو "البردة والأعمال التي دارت حولها"، مجلة تراثنا، العددان الأول والثاني [38-39]، السنة العاشرة، محرم، 1415هـ.

(2) انظر ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع، 4/4.

(3) ورد لهذا التخميس ذكر في الضوء اللامع، 5/4، وقال عنه: "وشرح البردة وخمسها"، وفي كشف الظنون، 1333/2، وفي الأعلام، 221/3، وقد أشار أسعد الطيب إلى أن له نسخة في دار الكتب، وفي مكتبة المرعشي العامة.

(4) انظر ترجمته: السخاوي، الضوء، 286/4.

يا من جفاه الكرى فالجفن لم ينم
وجسمه بانقسام الفكر في سقم
وقلبه قد غدا يشكو من الضرم⁽¹⁾

ثالثا: تخميس شعبان بن محمّد الآتاريّ (828هـ)⁽²⁾، وقد وسمه بـ"حلّ العقدة في تخميس البردة"، وقد استفتحه بقوله:

يا قلب قد فاض دمع العين كالذيّم
وصرت من حرقة الأشواق في ألم
حتّى استحال وجود منك كالعدم
أمن تنكّر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم⁽³⁾
رابعا: ثلاثة تخاميس لعبد اللطيف بن نصر الله الطوّيلي (878هـ)⁽⁴⁾، ومنها:

أرقت ليلك فالأجفان لم تتم
والجسم ألبس أثوابا من السقم⁽⁵⁾

خامسا: تخميس السيّوطي، ومطلعه:

سائل أذا الوجد والتّبريح والألم
وذا البكا والضنى والحزن والسقم⁽⁶⁾
سادسا: تخميس ناصر الدّين بن عبد الصّمّد⁽⁷⁾، وفي مطلعه يقول:
ما بال قلبك لا ينفكّ ذا ألم
مذ بان أهل الحمى والبان والعلم
وانهّل مدمعك القاني بمنسجم

(1) انظر: السخاوي، الضوء اللامع، 286/4، وقد ذكر أسعد الطيب أن لهذا التخميس نسخة في دار الكتب، وفي مكتبة المرعشي العامة، انظر: البردة وما دار حولها، 162-254.

(2) انظر ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع، 268/3.

(3) ورد لهذا التخميس ذكر في كشف الظنون، 1334/2، وفي الضوء اللامع: "ديوان في النبويات"، وقد أشار أسعد الطيب إلى أن له نسخة في دار الكتب، وفي مكتبة المرعشي العامة، وفي مكتبة متحف مولانا في مجموع رقمه في الخزانة 1638، ورقم المجلد 226.

(4) انظر ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع، 299/4.

(5) أشار أسعد الطيب إلى أن لهذه التخميس نسخا في دار الكتب، انظر: البردة، 162-254.

(6) انظر: البديعيات، 100، وأسعد الطيب، البردة، 162-254.

(7) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 1334/2.

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

والمتدبر فيما أثر من تخاميس يجدها كثيرة تربو على التسعين عددا، ومنها تخميس صلاح الدين مشتاق الرومي⁽¹⁾، وتخميس عبد الرحمن بن أحمد السخاوي المشهور بابن مسك (1123هـ)، وقد سماه "الذرّ النقيس في الجمع بين التّسديس والتّخميس"⁽²⁾، وتخميس عباس أفندي فوزي الداغستاني، وقد ارتضى له اسم: "أنيس الوحدة في تخميس البردة"، وتخميس عبد الرحمن بن محمد بن علي المغربي⁽³⁾، والحق أنّ ذلك يكثر إن تتبعتّه، وقد أوردت أمثلة تنبّه على الغرض الذي قصدته. ومن أمثلة التّسبيع ما نظمه عثمان بك، الأمير الشاعر من تسبيع أسبغ عليه "تفريح الشّدة بتسبيع البردة"، وأوله:

الله يعلم ما في القلب من ألم
ومن غرام بأحشائي ومن سقم
على فراق فريق حلّ في الحرم
كم قيل والدّمع من عيني كالدم
فقلت لما همى دمعي بمنسجم

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم⁽⁴⁾

ومن أمثلة التّسطير تشطير عبد الحميد قدس بن محمد الخطيب (1335هـ)، وقد سماه "دفع الشّدة في تشطير البردة"⁽⁵⁾، وتشطير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن محمد المالكي الجرجاوي، وقد سماه "برء السّقيم في مدح البرّ الرحيم"⁽⁶⁾.

أما الضّرب الثّاني فهو مجموعات التّخاميس، ومنها⁽⁷⁾:

المجموعة الأولى: وقد ائتمت من تسعة تخاميس اصطفاها شعبان بن محمد الأثاري (828هـ).

(1) أشار أسعد الطيب إلى أن له نسخة في مكتبة جامعة لوس أنجلوس حاملة للرقم B72 ، وفيها أيضا نسخة أخرى حاملة للرقم B.111.

(2) انظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين 119/5، وإسماعيل باشا، وهدية العارفين، 1/552 نقلا عن أسعد الطيب، البردة، 162-254.

(3) ذكر أسعد الطيب أن له نسخة في دار الكتب، انظر: البردة، 162-254.

(4) ورد له ذكر في "المنتخب من المخطوطات العربية في حلب"، 403، رقم 147، نقلا عن أسعد الطيب، البردة وما دار حولها من أعمال.

(5) طبع في مكة المكرمة سنة (1313هـ)، وفي بيروت في المطبعة الأدبية سنة (1318هـ)، انظر: الزركلي، الأعلام، 289/3، والبديعيات، 172، وأسعد الطيب، البردة، 162-254.

(6) طبع في مصر في مطبعة الكلية سنة (1330هـ)، وانظر: أسعد الطيب، البردة، 162-254.

(7) أفدت كثيرا في هذا المضمّار من بحث أسعد الطيب، البردة وما دار حولها من أعمال، 162-254.

المجموعة الثانية: جمعها أَيْتمش الخضري الزَّاهري (846هـ)، وقد ائْتُلفت من تسعة وعشرين تخميساً، ومنها نسخة في مكتبة تشسترتي حاملة للرقم 4215، في 90 ورقة، ومنها مصوِّرة في معهد المخطوطات العربيَّة حاملة للرقم 2041، وقد كتب في مستفتحها: "أما بعد، فقد جمع العبد الفقير إلى الله -تعالى- أَيْتمش الخضري... عدَّة تخاميس على الكواكب الدَّرِيَّة في مدح خير البريَّة المشهورة بالبردة...".

المجموعة الثالثة: جمعها أبو المحاسن، يوسف بن يحيى بن محمَّد الكرمانِي (894هـ)⁽¹⁾، وقد قال السَّخاوي: "جمع من تخاميس البردة ما ينيف على ستين"⁽²⁾.

المجموعة الرابعة: موجودة في المكتبة المرعشيَّة، وقد حملت الرِّقم (5309)، وهي خمسة عشر تخميساً كتبت سنة (997هـ)، وتقع في 41 ورقة، وناسخها هو محمَّد المناوي.

المجموعة الخامسة: ذكر السَّهراني محمَّد بن منلاً أنَّه رأى خمسة وثلاثين تخميساً جمعها بعض العلماء⁽³⁾.

ثانياً: البردة والبديعيات: وقد كان للبردة أثر ظاهر في تخلُّق البديعيات التي هي فنُّ ينتسب إلى علم البلاغة عامَّة، والبديع خاصَّة، قائم على أن تكون القصيدة البديعيَّة مشتملة على شرائط مخصوصة ليصدق عليها هذا الوسم، ألا وهو "بديعيَّة"، وهو مؤتلف من شقَّين: الشَّكل والمضمون، أمَّا الشَّكل فيجب أن تكون البديعيَّة قصيدة طويلة، منظومة على البحر البسيط، قافيتها الميم، بل الميم المكسورة، أمَّا المضمون فيجب أن تكون في مدح الرِّسول الأكرم صلَّى الله عليه وسلَّم، وأن يشتمل كلَّ بيت على لون بديعيٍّ أو أكثر⁽⁴⁾، وبذا يغدو من المقرَّر المستحكم في هذا الدِّرس أنَّ القصيدة لا تكون بديعيَّة إذا كانت منظومة على الطَّويل أو الكامل، ولا تكون القصيدة بديعيَّة إذا كانت قافيتها غير الميم المكسورة، ولا تكون كذلك إذا كانت قصيرة تأتلف من أبيات محدودة كالعشرين عدداً، ولا تكون كذلك إذا لم تشتمل في كلِّ بيت على لون من ألوان البديع، ولعلَّ ذلك هو الباعث على إخراج البردة البوصيريَّة من مضمار البديعيات لفقدانها شرطاً واحداً يتيماً، وهو خلؤها في بعض أبياتها من لون بديعيٍّ، فهي قصيدة طويلة جدًّا أبياتها أنت ستين مع مئة، وبحرها البسيط، وقافيتها الميم المكسورة، ومضمارها الأوَّل مدح الرِّسول الأكرم صلَّى الله عليه وسلَّم وشرف وكرم.

واللَّفت للخاطر أنَّ ثمَّ تلاقياً كبيراً في الشَّكل والمضمون بين البديعيات عامَّة، وبردة البوصيريِّ خاصَّة، والحقُّ أنَّ بردة البوصيريِّ ذات ألق مشعَّ ما زال نوره وقاداً، وسراجها وهَّاجاً يقتبس منه كثير ممَّن ورد، أو

(1) انظر ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع، 308/10.

(2) انظر: السخاوي، الضوء اللامع، 308/10، والزركلي، الأعلام 258/8، وأسعد الطيب، البردة، 162-254.

(3) السهراني من شراح البردة كذلك، كان حياً سنة (1048هـ)، انظر: أسعد الطيب، البردة، 162-254، وحاجي خليفة، كشف الظنون، 1331/2.

(4) انظر: علي أبو زيد، البديعيات، 48-49.

يرد على حوض المديح النبوي الشريف، ولعلّ فنّ البديعيّات إنّما انبثق وتخلّق منها، وقد وصفها أحد الدارسين بأنّها فتح كبير في باب المدائح⁽¹⁾.

وإذا ما قرّنا وارتضينا أنّ الصّفيّ الحليّ هو ناظم أول بديعيّة على وفق المعنى الفنّي الذي غدا مقرّرا ومستحكما، فإنّ بين بديعيّته وبردة البوصيريّ تلاقيا في الشّكل والمضمون لا يخفى على صاحب أدنى تأمل، وكذلك في العلة المفضية إلى إنشائهما: أمّا في الشّكل والمضمون فقد تقدّم بيان ذلك آنفا، وأمّا في العلة، فقد نظم البوصيريّ البردة بعد أن ابتلي بداء أثقله فأقعده، فكانت البردة وجها من وجوه التّوسّل بالنّبيّ الأكرم صلّى الله عليه وسلّم، ولما كان ذلك كذلك، تشرّف بزيارة النّبيّ ورؤيته في الرّؤيا، وفيها ألقى صلّى الله عليه وسلّم - بردته عليه، فزال ما كان قد حلّ به من داء ووصب بمنّ الله وكرمه، وتلك هي حال الصّفيّ فيما أثر عنه، فقد قيل إنّّه تعلّل مدّة، فنظم بديعيّته مادحا، متوسّلا، راجيا رحمة ربّه، فكان ذلك كذلك⁽²⁾.

ولو أنّنا استعرضنا مطالع بعض البديعيّات لوجدنا أنّها تلتقي مع مطلع البردة الأمّ التي غدت كالمنهل العذب الكثير الرّحام، والمفارقة اللطيفة أنّ البردة الأمّ - وقد تقدّمت إلماحة إلى ذلك - ليست بديعيّة يصدق عليها جميع شرائط مفهوم "البديعيّة"، ولكن، يبقى الفضل للمتقدّم الذي بثّ ألفا فنّيّا ما له من زوال، فاقنبتس من هذا الألق اللّاحق معنى وصورة وكلمة وشكلا ومضمونا. لنرجع البصر في مطالع بعض البديعيّات:

- بديعيّة الصّفيّ (750هـ): وهي: "الكافية البديعيّة في المدائح النبويّة":
إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم وافر السّلام على عرب بذي سلم
- بديعيّة ابن جابر (780هـ)، وهي "الحلة السّيرا في مدح خير الوري":
بطيبة انزل ويمّم سيّد الأمم وانشر له المدح وانثر طيب الكلم
- بديعيّة الموصليّ (789هـ)، وهي "التّوصّل بالبديع إلى التّوسّل بالشّفيع":
براعتي تستهلّ الدّمع في العلم عبارة عن نداء المفرد العلم
- بديعيّات الآثاريّ (828هـ)، وله ثلاث بديعيّات:
الصّغرى: "عين البديع في مدح الشّفيع":
إن جئت بدرا فطب وانزل بذي سلم سلّم على من سبى بدرا على علم
الوسطى: "بديع البديع في مدح الشّفيع"، ومطلعها:
دع عنك سلعا وسل عن ساكن الحرم وخلّ سلمى وسل ما فيه من كرم
الكبرى: "العقد البديع في مدح الشّفيع"، ومطلعها:
حسن البراعة حمد الله في الكلم ومدح أحمد خير العرب والعجم
- بديعيّة ابن حجّة (837هـ):
لي في ابتداء مدحك يا عرب ذي سلم براعة تستهلّ الدّمع في العلم
- بديعيّة السيّوطيّ (911هـ)، وهي "نظم البديع في مدح خير شفيع":
من العقيق ومن تنكار ذي سلم براعة العين في استهلالها بدم
- بديعيّة عائشة الباعونيّة (922هـ)، وهي: "الفتح المبين في مدح الأمين":

(1) انظر: زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، 142.

(2) انظر: الرعيّني، أحمد بن يوسف (779هـ/1378م)، طراز الحلة وشفاء الغلة، تحقيق رجاء الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1990، 22.

في حسن مطلع أقمار بذى سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم
- بديعية عبد الغنيّ النَّابلسيّ (1143هـ)، وهي: "سمات الأسحار في مدح النَّبيِّ المختار":
يا منزل الرّكب بين البان فالعلم من سفح كاظمة حيّيت بالديم

إخال أنّ ما تقدّم فيه مستكفي ملمح بالاقتضاب على مفهوم البديعية وفنّ البديعيّات في الأدب العربيّ، وليس في هذا المقام فضلة، أو فسحة، تتسع للخوض في باب من القول على آراء الباحثين في "فنّ البديعيّات العربيّ"، وصفوة المستخلص في ذلك كلّه أنّ هذه الظاهرة الأدبيّة البديعيّة الفنّيّة، بقطع النظر عمّا قيل في حقّها، تشكّل فنّاً جديداً، وغرضاً شعريّاً طريفاً، له دلالاته، وغاياته، وآثاره التي لا ينكرها إلّا جاحد أو معاند⁽¹⁾.

ثالثاً: البردة والشّرح: ومن الوجّهات التي ولّى فيها العلماء نحويّين، ولغويّين، وشعراء، وفقهاء، ومحدّثين، وجوهم شطرها الشّرح والتّجلية اللّغويّة والبيانيّة، والحقّ أنّ شرحها كثير كثيرة بالغة، وحسبي الإشارة إلى شروح بعض الأعلام المشاهير الذي صرفوا وكدهم نحوها⁽²⁾، ومنها شرح ابن هشام النّحويّ (761هـ)، وقد سمّى شرحه "الكواكب الدّريّة"⁽³⁾، وشرح ابن الصّائغ، محمّد بن عبد الرّحمن (776هـ)⁽⁴⁾، وشرح الرّزكشيّ محمّد بن بهادر (794هـ)، صاحب كتاب "البرهان في علوم القرآن"⁽⁵⁾، وشرح البردة لسعيد بن محمّد العقابيّ النّحبيّ التّمسانيّ (811هـ)، وشرح البردة لشعبان بن محمّد الآثاريّ (828هـ)، وقد سمّاه "حلّ العقدة في شرح البردة"، وشرح البردة لابن عطية عبد الرّحمن بن محمّد الشهير بالجادريّ (839هـ)، وشرح البردة لمحمّد بن أحمد بن مرزوق التّمسانيّ (781هـ)، وقد سمّاه "إظهار صدق المودّة في شرح البردة"⁽⁶⁾، وشرح جلال الدين محمّد بن أحمد المحليّ (864هـ)، وهو شيخ السيّوطيّ⁽⁷⁾، وشرح الشّيخ القاضي بحر بن رئيس الهارونيّ (891هـ)، وسمّاه "الشّهدة في شرح قصيدة البردة"⁽⁸⁾، وشرح خالد الأزهريّ النّحويّ (905هـ) صاحب كتاب "التّصريح على التّوضيح"، وسمّاه "الرّيدة في شرح قصيدة البردة"⁽⁹⁾، وشرح الإمام المحدث شهاب الدّين أحمد بن محمّد القسطلانيّ (923هـ)، وقد سمّى شرحه "الأنوار المضيئة في شرح الكواكب الدّريّة"⁽¹⁰⁾، وشرح شيخ الإسلام زكريّا بن محمّد الأنصاريّ (926هـ)، وقد أسبغ على شرحه اسم "الرّيدة الرّائقة في شرح البردة الفارقة"⁽¹¹⁾، وشرح الهيتميّ أحمد بن محمد (973هـ)، وقد أسبغ عليه اسم "العمدة في شرح البردة"، وغير ذلك كثير.

(1) لمزيد بسط القول في هذا المطلب انظر المبحث الذي عقده علي أبو زيد: "موقفنا من البديع والبديعيّات"، في كتابه: "البديعيّات في الأدب العربيّ"، 304 وما بعدها.

(2) عقد حاجي خليفة حديثاً مطولاً عن شروح البردة وتخاميسها، انظر: كشف الظنون، 1331/2 وما بعدها، وكذلك فعل أسعد الطيب في كلام يطول عرضه في مثل هذا المقام، انظر: البردة، 162-254.

(3) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 1332/2.

(4) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 1332/2.

(5) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 1334/2.

(6) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 1333/2.

(7) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 1333/2.

(8) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 1332/2.

(9) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 1332/2.

(10) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 1335/2.

(11) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 1336/2.

وصف النسخة المخطوطة: قام هذا التحقيق على نسخة فريدة تعدّ أصلاً بل أمّا، ومن بواعث عدّها على النحو المتقدم بيانه: أنّها نسخة المصنّفة الأصليّة التي خطّها بيدها سنة (921هـ) خطأ مهذباً منمّقا مشكولاً أولاً، وأنّها نسخة كاملة لا نقص فيها ولا اضطراب ثانياً، وأنّها نسخة واضحة مقروءة لا يعترّبها طمس إلّا في ثلاثة مواضع بمقدار ثلاث كلمات كنت قد حقّقتها فقرأتها ثالثاً، وأنّها نسخة مراجعة عليها تصويبات كانت المصنّفة نفسها قد ألمحت إليها في هامش نسختها رابعاً، ولهذا كلّه أغنت هذه النسخة الأمّ عمّا سواها، فكانت للتحقيق المضمار الأوحد، والمعتمد الأوّل.

أمّا وصفها فهي نسخة مصوّرة محفوظة في مركز "جمعة الماجد" الزّاهر في دبيّ، وكان المركز قد حاز هذه النسخة مصوّرة من النسخة الأمّ المحفوظة في دار الكتب الطّاهريّة، ورقمها العامّ ثمّ هو "7335"، ورقم شريطها (فيلمها) هو "1394". وقد توزّعت هذه النسخة الأمّ على إحدى وعشرين ورقة، في كلّ ورقة ستّة عشر سطراً، وفي كلّ صفحة أربعة أبيات مخمسة.

سير التحقيق:

- اعتمدت -رقد تقدّم هذا أنفا- على النسخة الأمّ التي خطّها المصنّفة بيدها.
- وقد استفتحت التحقيق بترجمة للمصنّفة، وحديث مقتضب عن مصادر ترجمتها، وحياتها، وعلمها، وتأليفها، ووفاتها، وسنة تأليف التّخميس ونسبته.
- وقد عرّجت في مقدّمة التحقيق على بيان خائص في اللّحمة الوثقى بين البردة وما تخلّق عنها من أعمال أدبيّة؛ كالشّروح، والشّطير، والتّخميس، والتّسبيح، والبديعيّات، وغير ذلك، وكذلك أتيت على شكل التّخميس، ومضمونه، ومنهجه، وأسلوبه، وقد عرّجت كذلك على أهمّ ما قيل عن مصنّفته.
- وقد قمت بالترجمة للأعلام الذين ورد لهم ذكر في هذا التّخميس، وهم قلة قليلة.
- وقام التحقيق كذلك على ضبط النّصّ والعبارة ضبطاً يرفع الملبس، ويجلّي المشكل، والحقّ أنّ ذلك استغرق منّي جهداً ووقتاً كبيرين؛ ذلك أنّ مادّة الكتاب الرّئيسة هي الشّعْر، وقد كانت محتاجة إلى كثير من التّبصّر، والتّدبّر، ولطف النّظر، والرّويّة في إقامة الوزن، وضبط العبارة.
- وقد أدخلت بعض الإضافات في النّصّ المحقّق، وقليل ما هي، واضعها بين قوسين معقوفين للدّلالة على أنّ ما بينهما من إضافة المحقّق.
- وقد أشرت إلى حدود صفحات النسخة جانحاً إلى إثبات أرقام صفحاتها في متن التحقيق، مرتضياً وضعها بين قوسين معقوفين للدّلالة على بداية صفحة ونهاية أخرى في نسخة التحقيق.
- وقد تكلمت في حواشي التحقيق على بعض الألفاظ الغريبة وشرحها، وكذلك شرحت بعض أبيات الشّعْر شرحاً دالّاً بالافتضاب والإيجاز، وسبيلي إلى ذلك لسان العرب لابن منظور.
- وقد عمدت إلى كتابة النّصّ المحقّق كتابة تستند إلى القواعد الإملائيّة المتداولة، وقد تجافيت عن الرّسم الإملائيّ الذي ارتضته المصنّفة بخطّ يدها؛ كتسهيل الهمزة من وجهة إملائيّة، وقصر الممدود، وعدم إقامة بون بين مواضع الألف الممدودة والمقصورة، والإبقاء على الإدغام في مواضع يجب فيها فكّه، وغير ذلك كثير كثير لم أشر إليه في حواشي التحقيق.

القِسْمُ الثّانِي

التّخْمِيسُ مُحَقَّقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

تَقُولُ الْأُمَّةُ الْفَقِيرَةُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ عَائِشَةُ بِنْتُ يُوسُفَ الْبَاعُونِي لَطَفَ اللَّهُ -تَعَالَى- فِي الدَّارَيْنِ بِهَا، وَبَارَكَ فِي ذُرِّيَّتِهَا، وَرَحِمَ سَلَفَهَا، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ الْأَفْكَارَ السَّلِيمَةَ، لِسُلُوكِ الطَّرِيقِ الْوَقِيمَةِ، فِي مَدَائِحِ الْمَمْدُوحِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَمَنَحَ الْمُعَانِي أَحْسَنَ الْمَعَانِي، فِي مَحَامِدِ الْمُنْعُوتِ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ، وَأَطْلَقَ الْأَلْسِنَةَ فِي فِضَاءِ الْأَثْنِيَّةِ عَلَى صَاحِبِ الْمَثَانِي، وَالْهَمَّ الصَّوَابَ، وَفَصَّلَ الْخِطَابَ، فِي شَرَفِ مَخْصُوصِ الثَّدَانِي، وَأَرْسَلَ سَحَابَ الْكَرَمِ بِغَيْثِ النَّعْمِ عَلَى مَنْ أَطْنَبَ فِي مَدْحِ هَذَا الْحَبِيبِ، وَكَشَفَ سُتُورَ اللَّبْسِ، وَأَمَاطَ حِجَابَ النَّفْسِ، عَمَّنْ أَخْلَصَ فِي وَدِّ هَذَا الْقَرِيبِ.

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدًا يَلِيْقُ بِجَلَالِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا يَقْتَضِي الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي أَحَدِيَّتِهِ صَمَدًا، وَلَا مِثْلَ لَهُ فِي صَمَدِيَّتِهِ أَحَدًا، وَلَا قَبْلَ لَهُ فِي أَوْلِيَّةِ أَرْزَلِيَّتِهِ، وَلَا بَعْدَ لَهُ فِي آخِرِيَّةِ سَرْمَدِيَّتِهِ، شَهَادَةً تَقْرَأُ بِهَا عَيْنُ الْبَصِيرَةِ، وَتَجْلُو بِنَفْحَاتِهَا⁽¹⁾ غَيْمَ الْعَيْنِ⁽²⁾ عَنْ سَمَاءِ السَّرِيرَةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ حَبِيبَهُ الْأَعْظَمَ، وَوَجِيهَهُ الْأَكْرَمَ، مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ، وَحَبِيبُهُ، وَخَلِيلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ صَلَاةً كَافِلَةً بِلَوْغِ السُّؤْلِ، وَتَحْقِيقِ الْمَأْمُولِ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَتَابِعِيهِ، وَجَزْبِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ سَادَاتِنَا أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَخَوَاصِّهِ الْعَارِفِينَ، وَبِالْخُصُوصِ عَنِ الْقُطْبِ الْجَلِيلِ الْكَبِيرِ الْعَوْثِ الْفَرْدِ الرَّبَّانِيِّ سَيِّدِي وَسَنَدِي عَبْدِ الْقَادِرِ الْكِيْلَانِيِّ⁽³⁾، وَعَنِ الْقُطْبِ الْعَوْثِ الْفَرْدِ الْجَامِعِ الْمُتَمَكِّنِ الْمُتَصَرِّفِ الْمَرْفُوعِ الرَّافِعِ ذُخْرِي وَعُمْدَتِي وَشَيْخِي وَقُدُوتِي الْعَارِفِ الرَّبَّانِيِّ، وَالْمُحَقِّقِ الصَّمَدَانِيِّ، السَّيِّدِ الْجَلِيلِ جَمَالِ الْحَقِّ [1] إسماعيلَ الرَّبَّانِيِّ مَدَدًا⁽⁴⁾، الْحَوَارِيَّ بَلَدًا، وَعَلَى خَلِيفَتِهِ مَقَامًا وَحَالًا، وَقُرْبًا وَاتِّصَالًا، الْقُطْبِ

(1) في المتن: "بأنوارها"، وصححت في الهامش.

(2) طمس في الأصل، ولعل ما يستدعيه السياق هو ما أثبت في المتن، وفي اللسان: الغين السحاب، وغانت السماء غينا: طبقها الغيم. انظر: لسان العرب، مادة "غين".

(3) عبد القادر بن موسى بن يحيى الجيلاني الحنبلي، وقيل: الكيلاني، أو الجيلي، من ذرية الحسن رضي الله عنه، مؤسس الطريقة القادرية، ولد في جيلان، وراء طبرستان سنة (471هـ)، وقيل سنة (470هـ)، وانتقل إلى بغداد شابا، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وسمع الحديث، وتفقه، وقرأ الأدب، قال عنه المناوي: أجمع على إمامته أهل الخلاف والوفاق، ألفت كتب في سيرته، ومنها: "قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر"، و"بهجة الأسرار في مناقب سيدي عبد القادر"، توفي في بغداد سنة (561هـ). انظر ترجمته: الذهبي، محمد بن أحمد (748هـ/1348م)، سير أعلام النبلاء، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003م، 242/12، وابن كثير، أبو الفداء الدمشقي (774هـ/1373م)، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملح وأخريين، دار الفكر، بيروت، ط1، 1992م، 270/12، والشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (973هـ/1501م)، الطبقات الكبرى، تحقيق عبد الرحمن محمود، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 1993م، 286/2، والمناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف (1032هـ/1622م)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق محمد الجادر، دار صادر، بيروت، 1999م، 253/2.

(4) ورد لشيخه إسماعيل الحواري ذكر في مقدمة ديوانها الذي عمل على تحقيقه، وهو "فيض الفضل"، إب، وكذلك في مقدمة كتابها الذي حققته من قبل، وهو الفتح المبين في مدح الأمين، 56، ولم أعر على ترجمة له البتة، ولعله من المغمورين.

الكبير سيدي، وسندي، وإمامي، ومُعتمدي، ذي القدر العلي، والسمت البهي، مُحبي الدين الأرموي⁽¹⁾، ورضي الله عن أصفياهم ومن يليهم، وذريهم، وأهلهم، وخدامهم، وذويهم، وعننا وعن والدينا، وأولادنا، وذرياتنا، وإخواننا في الله، وأحبائنا، ومن أولانا خيرًا لوجهه الكريم، وجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، بمنه وكرمه، إنه جواد كريم، رؤوف رحيم.

أما بعد، فإن المديح النبوي شعار أهل الصلاح، وسما أهل الفلاح، وهو مما يتنافس فيه المتنافسون، ويدأب فيه المخلصون؛ إذ هو من أعظم وسائل النجاح، وسبب لمضاعفة الأرباح، وكان ممن أجاد فيه وأخلص، إلى أن تقرب وتخصص، التبليغ الفاضل الأملعي، والبارع الفطن اللودعي، العلامة أبو عبد الله شمس الدين الأبو صيري تغمده الله -تعالى- برحمته⁽²⁾، وأسكنه فسيح جنته، وكان من أحسن ما أبرزه في مدح هذا الحبيب الأعظم، والنبى الأكرم -صلى الله عليه وسلم- قصيدته الميمية، ومنظومته السنية، المشهورة في مجال التسمية بالبردة، لا بل هي التزيق المجرب لكشف الشدة التي حُكم لها بالسبق، والحق الحق أنها لا تلحق.

وكان مما امتن الله به علي، وأحسن إلي، أن أهلني لتخميسها في عُفوان الشباب، وشرفني بدخولي في مدح هذا الجناح، واستمر التخمس المذكور يتدرج في طي ما لي من منظوم ومثور، إلى أن قيده الله -تعالى- اخلاسته مع كتب ألفتها، وحقائق عن فتوحات الله تلقينها، واتفاق ذلك كان في رحلتي إلى الديار المصرية بمنزلة يقال لها بلبيس⁽³⁾ من ضواحي القاهرة المعزية⁽⁴⁾، فحصل على النفس ما حصل بسبب ذلك [ب]، والقلب مطمئن بالله؛ إذ فيه خلف عن كل هالك، ثم في غضون القرار بتلك الديار، فتح الله -تعالى- بتخميس ثانٍ مُحكم المباني، مشحون برفائق الألفاظ وجلال المعاني، وإن كان هذا المرمى المذكور مما تقصُر عنه ذوات الخدور، فإن فضل الله لا يتعلق بوجهة، ولا يتقيد بعلّة، ورحمته لا ممسك لها برلة. وقد استخرت الله -تعالى- في إثباته في هذا الكتاب خدمة لسيد الأحاب، ورغبة في إجزال النصيب من منح التقريب، واتصال المدد من مدد الوافي، وبلوغ الزي من شرايه الصافي، لي ولولدي ولذريتي وكل مضاف، ومن الله أرجو حسن القبول، وتحقيق المأمول، بمنه وكرمه، إنه أرحم الراحمين، وسميته "القول الصحيح في تخميس بردة المديح"، ومن الله

(1) ورد لشيخها يحيى الأرموي ذكر مقدمة كتابها الذي حققته من قبل، وهو الفتح المبين في مدح الأمين، 56، ولم أعر على ترجمة له البتة، ولعله من المغمورين كذلك.

(2) البوصيري هو شرف الدين أبو عبد الله، محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي، أصله من المغرب من قلعة حماد، ولد سنة (608هـ)، وتوفي بالإسكندرية سنة (695هـ)، انظر ترجمته: ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق يوسف طویل ومريم طویل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، 5/54، والكتبي، محمد بن شاکر (764هـ/1363م)، فوات الوفيات، تحقيق على معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، 2/341، وابن العماد، شذرات الذهب، 5/432.

(3) انظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (626هـ/1229م)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، 1/377.

(4) سميت بذلك نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي، وهو معد بن إسماعيل (365هـ)، صاحب مصر وإفريقية، ولد في المغرب، ولما جاءت الأخبار بموت كافور الإخشيدي أشار المعز إلى القائد جوهر بالسير إلى مصر فدخلها فاتحاً، فاخنت مدينة القاهرة سنة (359هـ)، وسماها القاهرة المعزية. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/440.

أَسْتَمِدُّ، وَعَلَيْهِ أَعْتَمِدُ، وَهُوَ حَسْبِي، وَنِعَمَ الْوَكِيلُ، وَهَذَا هُوَ التَّخْمِيسُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ، وَمَا تَوَفَّقَنِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.

[الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: فِي الْغَزْلِ وَشِكْوَى الْغَرَامِ]

كَتَمْتُ عِشْقِي فَأَضْحَى غَيْرَ مُكْتَمٍ⁽¹⁾

بِمَدْمَعِ عَنْدَمِي اللَّوْنِ مُنْسَجِمٍ⁽²⁾

وَقَالَ صَحْبِي وَوَجَدِي صَارَ كَالْعَلَمِ:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ مَرْجَبَتْ دَمْعًا جَزَى مِنْ مُقَلَّةٍ بِدَمٍ⁽³⁾

أَمْ مِنْ لَوَاعِجِ أَشْوَاقٍ مُلَازِمَةٍ⁽⁴⁾

أَمْ مِنْ شُجُونِ هَوَى بِالْقَتْلِ حَاكِمَةٍ

أَمْ مِنْ سُيُوفِ مَلَامٍ فِيكَ كَالْمَةِ⁽⁵⁾

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبُرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ⁽⁶⁾ [2 أ]

إِنِّي إِخَالُكَ مُعْرَى قَطُّ مَا التَّقَاتَا

وَلَا تَرَأَى سِوَاهُمْ مُنْذُ صَارَ فَتَى

إِنْ كُنْتُ تُتَكَّرُ عِنْدِي الْآنَ مَا تَبَيَّنَا

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفَأَ هَمَّتَا وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَقَى يَهُم؟

قَدْ أَعْرُو بِالِي وَكُنْهُ الْحَالِ مُنْعَجِمٍ⁽⁷⁾

دَمْعٌ يَسِخُ وَقَلْبٌ حَشْوُهُ ضَرَمٌ

فَقُلْتُ وَالْحَالُ مَا بَيْنَ الْوَرَى عَلَمٌ:

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحَبَّ مُنْكَتَمٌ مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٌ

أَصْبَحْتَ بِالْحَبِّ وَالْمُحْبُوبِ فِي شُعْلِ

لَا تَنْتَهِي مِنْ جَوَى إِلَّا إِلَى غُلْلِ⁽⁸⁾

مُسَهَّدَ الطَّرْفِ مَدْمِي الْجَفْنِ ذَا عِلِّ

لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرْقُ دَمْعًا عَلَى طَلِّ وَلَا أَرُقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ

شُؤُونُ حُبِّكَ وَالْأَشْجَانُ حِينَ بَدَتْ

وَأُرْشَدَتْ بِبِوَادِي عِشْقِهَا وَهَدَتْ

(1) في المتن: "وجدني"، وصححت في الهامش.

(2) العندم صبيغ يختضب به شبه به الدموع المختلطة بالدم لكثرة البكاء، والمنسجم: الدمع السائل قليلا كان أو كثيرا.

(3) ذو سلم موضع بين مكة والمدينة.

(4) اللواعج: مفردها اللاعج، وهو الهوى المحرق.

(5) كالمه: جارحة.

(6) كاظمة: اسم طريق إلى مكة، وإضم: واد أسفل المدينة، وأومض: لمع.

(7) أعرو: عزوته وأعروه إذا ألمت به.

(8) غلّ: مفردها غلة، وهي شدة العطش وحرارته، وسميت حرارة الحزن والحب غلة تجوزا.

قَالَ الْوَرَى وَأُمُورُ الْوَجْدِ قَدْ وَجِدْتُ: (1)
 فَكَيْفَ تُتَكْرَمُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهَدْتُ بِهِ عَلَيْكَ عُدُولَ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ [2 ب]
 بَدَلْتَ جَهْدَكَ فِي صَوْنِ الْهَوَى رَمْنًا
 حَتَّى غُلِبْتَ فَأَضْحَى سِرُّهُ عَلْنَا
 وَلَمْ تَذُقْ مُنْذُ عَالَجْتَ الْهَوَى وَسَاءً (2)
 وَأَثَبْتَ الْوَجْدُ حَطِيءَ عِبْرَةٍ وَضَنَى مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمِ
 نَادِيَهُمْ وَلَهَيْبُ الشَّقِيقِ أَحْرَقَنِي
 وَمَاءٌ (3) طُوفَانِ دَمْعِ الْعَيْنِ أَغْرَقَنِي
 وَذَكَرُ أَهْلِ الْحِمَى بِالْوَجْدِ أَفْلَقَنِي:
 نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَقَنِي وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ
 أَتَى السُّلُوكُ وَلَا لِي ثُمَّ مَقْدَرَةٌ
 وَلَا يَبْغِي الْهَوَى لِي قَطُّ مَخْبَرَةٌ
 الْعِشْقُ فَنَّ عَدَتْ لِي فِيهِ تَبْصِرَةٌ
 يَا لَأَيْمِي فِي الْهَوَى الْعُدْرِيِّ مَعْدِرَةٌ مَنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلْمِ
 إِلَيْكَ عَنِّي فَالْأَجْفَانُ فِي سَهَرِ
 وَالطَّرْفُ فِي غَرَقٍ، وَالْقَلْبُ فِي سُعْرِ (4)
 وَالْوَجْدُ جَدًّا، وَمَا لِي بَعْضُ مُصْطَبَرِ
 عَدَنَكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ [3 أ]
 يَا مُكْتَرِ الْقَوْلِ فِيمَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ
 وَجَائِلًا بِمَجَالٍ فَاتَ مَطْمَعُهُ
 يَبْغِي فِطَامَ الْحَشَى وَالْحُبَّ يَرْضَعُهُ
 مَحْضَنَّتِي النَّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمَمِ
 كَيْفَ اصْطَبَارِي وَهُمْ أَقْصَى مَدَى أَمَلِي؟
 وَلَوْ تَمَادَى الْجَفَا مَا مَلْتُ لِلْمَلِّ
 دَعْنِي فَلَيْسَ شَجِي الْقَلْبِ مِثْلَ خَلِّ
 إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدْلِي وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نَصْحِ عَنِ التَّهْمِ
[الْقِسْمُ الثَّانِي: فِي التَّحْذِيرِ مِنْ هَوَى النَّفْسِ]
 طَوْبَى لِنَفْسٍ لِعَهْدِ اللَّهِ قَدْ حَفِظَتْ
 وَحَافِظَتْ وَبَغِيْرَ الْحَقِّ (5) مَا لَقِطَتْ

(1) هكذا ضبطتها المصنفة بخط يدها.

(2) الوَسَن: ثقل النوم، وقيل: النعاس.

(3) في المتن: "وفيض"، وصححت في الهامش.

(4) السُّعْر: الجنون، وقيل العذاب والنعاء، وقيل: في سعر: في لهب.

(5) في المتن: "الصدق"، وصححت في الهامش.

وَاللُّحُوظِ بِعَيْنِ الْمَيْلِ مَا لَحَظَتْ
 فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا انْتَعَطَتْ مِنْ جَهْلِيهَا بِبَدِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
 نَفْسٌ لَهَا فَيُضُّ فَضْلُ اللَّهِ قَدْ عَمَرَ
 مَا أَنْ أَنْ يَهْتَدِي فِعْلاً بِمَا أَمَرَ
 مَضَى الْكَثِيرُ وَلَمْ تَبْلُغْ بِهِ وَطَرَ
 وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى ضَيْفٍ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَسِمٍ [3 ب]
 نَعَمْ الْمُدَكَّرُ شَيْبُ الْمَرْءِ يَرْجُرُهُ
 عَنِ الْمَعَاصِي وَبِالطَّاعَاتِ يَأْمُرُهُ
 وَاحْجَلْتِي وَمَشِيبي لَأَحْ أَكْثَرُهُ
 لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ كَنَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي عَنْهُ بِالْكَتْمِ
 مَتَى تَلُوحُ الْبُؤَادِي مِنْ هِدَايَتِيهَا
 وَتَسْأَلُكَ الْمَنْهَجَ الْأَعْلَى لِغَايَتِيهَا
 مَنْ لِي بِإِدْرَاكِهَا مَعْنَى نِهَائِيهَا؟
 مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِيهَا كَمَا تُرْدُ جِمَاحَ الْخَيْلِ بِاللُّجْمِ
 رُضْهَا وَبِالذِّكْرِ فَاشْغَلْهَا بِخَلْوَتِيهَا
 وَحَلِّهَا كُلَّ مَا يُدْنِي لِغَلْوَتِيهَا
 وَإِنْ تُرِدْ عَنْ هَوَاهَا صِدْقَ سُلُوتِيهَا
 فَلَا تَزِمِ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِيهَا إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ
 احْذَرِ هَوَاهَا فَكَمْ أَرْدَى وَكَمْ قَتَلَا
 وَكَمْ عَنِ الْحَقِّ بِالْأَوْهَامِ قَدْ شَغَلَا
 فَاحْسَبِ مَوَادِ الْهَوَى مِنْهَا وَكُنْ رَجُلًا
 فَالْنَفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تُهْمِلُهُ شَبَّ عَلَى⁽¹⁾ حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقْطِمُهُ يَنْقَطِمِ [4 أ]
 هِيَ الْجَهْلُوهُ قَلْبُ الْمَرْءِ تُعْمِيهِ
 وَذِكْرُ مَوْلَاهُ رَبِّ الْخَلْقِ تُنْسِيهِ
 وَبِالْعُرُورِ مِنَ الْأَمَالِ تُلْهِيهِ
 فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُؤَلِّيَهُ إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصِمُّ أَوْ يَصِمُ
 إِنْ أَصْبَحَتْ فِي بَحَارِ الْجَهْلِ عَائِمَةً
 وَفِي بُؤَادِي حَضْبِضِ الْحَطِّ هَائِمَةً
 بِالْعِلْمِ قُدَّهَا لِتَبْقَى فِيهِ قَائِمَةً
 وَرَاعِيهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةً وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ
 كَمْ قَدْ دَعَوْتُ وَكَمْ صَدَدْتُ مُجَاهِلَةً
 كَمْ قَدْ نَصَحْتُ وَكَمْ أَبَدْتُ مُنَاصِلَةً
 كَمْ قَبَّحْتُ فُرْبَةَ لِلْفَضْلِ⁽¹⁾ شَامِلَةً

(1) رواية الديوان: "والنفس"، وما في المتن اختيار الشاعرة.

كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
 لَا تَنْظُرَنَّ لِمَا يُبْدِيهِ مِنْ وَرَعٍ
 فَكَمْ لَهَا مِنْ تَلَابِيصٍ وَمِنْ خُدَعٍ
 وَأَنْفِ الْكِبَائِرِ مِنْ حِرْصٍ وَمِنْ طَمَعٍ
 وَأَخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ [4ب]
 صَحَّحَ مَتَابَاً فَبِالنَّصِيحِ كَمْ بَرَأَتْ
 مِنَ الذَّنُوبِ كُلِّهَا بَعْدَ مَا تُكِنَّتْ
 وَالْجَأُ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ الْأَصْفِيَا لَجَأَتْ
 وَأَسْتَفْرِغِ الدَّمَاعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ اِمْتَلَأَتْ مِنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمِّ حَمِيَّةَ النَّدَمِ
 وَالْوَالِدَانَ تَعَمَّدَ حُسْنَ بَرِّهِمَا
 وَالْأَجُوفَانَ تَوَقَّ شَوْبَ شَرِّهِمَا
 وَغَضَّ عَيْنَيْكَ وَأَحْذَرَ وَقَعَ سَهْمَيْهِمَا
 وَخَالَفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِمِهُمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصِيحَ فَاتَّهِمِ
 الْجَأُ فَإِنَّ اللَّجَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ جَمِي (2)
 وَأَحْذَرُهُمَا فَلَكُمْ عَزَاً وَكَمْ صَرَمَا
 وَإِنْ هُمَا أَمْرًا فَاعْصِ وَكُنْ شَهْمَا
 وَلَا تُطْعِ مِنْهُمَا حَصْمًا وَلَا حَكَمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ
 وَأَخْجَلْتِي وَزَمَانِي ضَاعَ فِي شُغْلٍ
 بِمَا يُنَافِي جَمِيلَ الْوَعْظِ مِنْ زَلَلٍ
 دَاوَيْتُ غَيْرِي وَقَلْبِي فِيهِ كَمْ عَلَلٍ
 أَسْتَعْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلٍ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِذِي عَقْمٍ [15]
 الزَّمَّ عَفَافًا وَلَا تَجَنَّحْ إِلَى الشَّرِّهِ
 وَجُلْ بِفِكْرِكَ وَاجْلُ اعْظَمَ النَّزْهِ
 وَأَنْحُ التَّقَى وَتَجَنَّبْ جَانِبَ الشُّبْهِ
 أَمْرُتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ
 مَا لِي أُرَاكَ عَنِ التَّحْقِيقِ مَائِلَةً
 يَا نَفْسُ تَوْبِي عَسَى تَبْقَيْنَ كَامِلَةً
 مَضَى الزَّمَانُ وَلَمْ أَحْسِبْ مُعَامِلَةً
 وَلَا تَرَوْدَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرَضٍ وَلَمْ أُصِمِ
[الْقِسْمُ الثَّلَاثُ: فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]
 إِلَى مَتَى ذَا التَّمَادِي وَالْكَرَامِ خَلَا
 نَفْسِي تَدَاعَوْا سِرَاعًا نَحْوَ خَيْرِ مَلَا

(1) في المتن: "للقصدي"، وصححت في الهامش.

(2) اللجأ: مهموز، أي: اللجأ، وهو الملجأ والمعقل.

وَالْقَلْبُ مِنِّي بِمَا يُلْهِمُهُ قَدْ شُغِلَا
 ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى أَنْ اشْتَكَّتْ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمٍ
 وَحَارَ أَشْرَفَ غَايَاتِ العُلَا وَحَوَى
 وَقَالَ صِدْقًا، وَلَمْ يَنْطِقْ بِحُكْمِ هَوَى
 وَعَنْ جَمِيعِ وُجُوهِ الفَانِيَاتِ لَوَى
 وَشَدَّ مِنْ سَعَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى تَحْتَ الحِجَارَةِ كَشْحًا مُنْزَفَ الأَدَمِ [كب]
 حَارَ الكَمَالَ فَلَمْ يَجْنَحْ إِلَى سَبَبِ
 تَقَرُّدًا بِشُهُودٍ وَاعْتِيَلًا قَرَبِ
 وَلَمْ يَمِلْ لِمِرَادٍ لَا وَلَا طَلَبِ
 وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ دَهَبِ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ
 فَرِيدُ حُسْنٍ وَإِحْسَانٍ فَصُورَتُهُ
 تُنْبِيكَ عَمَّا حَوَتْ مِنْهُ سَرِيرَتُهُ
 مَا مَدَّ يَوْمًا إِلَى الدُّنْيَا بِصِيرَتِهِ
 وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى العِصَمِ
 حَقَّقْ تَرَّ سِرِّ خَلْقِ الكَائِنَاتِ عَلَنُ
 لِأَجْلِ مَنْ بُوفا⁽¹⁾ رَبُّ البَرِيَّةِ مَنْ
 فَكَيْفَ يَهْفُو لِدَارٍ أُشْحِنْتَ بِحَزْنِ؟
 وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةً مَنْ لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ العَدَمِ
 طَوَى بِنَشْرِ الهُدَى ظِلَّ الضَّلَالَةِ طَيَّ
 كَمَا مَحَى بِضِيَاءِ الرُّشْدِ ظُلْمَةَ غَيِّ
 هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ يَكُ شَيْ
 مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالنَّقَلَيْنِ نِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ [أ6]
 الحَمْدُ لِلَّهِ لَا بَأْسَ وَلَا نَكْدُ
 وَحُبُّهُ لِي نُخْرٌ وَهُوَ لِي سَنَدُ
 وَجَاهُهُ مَا لَهُ حَدٌّ وَلَا أَمَدُ
 نَبِيْنَا الأَمْرِ النَّاهِي فَلَا أَحَدُ أَبْرَ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ
 عَمَّتْ سَيَادَتُهُ سَادَتْ جَمَاعَتُهُ
 وَأَعْيَبَ البُلْغَا طُرًّا بَرَاعَتُهُ⁽²⁾
 وَفَرَقَتْ جَمَعَ أَعْدَاهُ شَجَاعَتُهُ
 هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَوَلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ
 بِهِ تَمَسَّكَ وَدَعَّ مِنْهَا جَ كُلِّ وَهٍ
 مُسْتَوْعِرٍ فِي حَضِيضِ الشَّكِّ وَالشُّبْهِ

(1) في النسخة التي بين يدي: "بوفاه"، وفي ذلك خلل عروضي لا يستقيم.

(2) طُرًّا: جميعا، نقول: مررت بهم طُرًّا.

وَأَفْتَحْ وَشَاهِدْ جَلالاً بِالْجَمالِ بَهي
 دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَصِمِ
 حَوَى الْمَعَالِي فِيهِ كُلُّ مُفْتَرِقِ
 مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي جَاءَتْ عَلَى نَسَقِ
 مُكَمَّلُ الْحُسْنِ يَسْمُو الشَّمْسَ فِي أَلْقِ
 فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ [ب6]
 هُوَ النَّفِيسُ الَّذِي مَا فَاتَهُ نَفْسٌ
 إِلَّا وَفِيهِ لَهُ مِنْ رَبِّهِ قَبَسٌ
 قَرَدٌ عَلَى أَنَّهُ فِي الْجَمْعِ مُنْعَمِسٌ
 وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ عَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيْمِ
 مُوجَّهُونَ إِلَيْهِ وَجَهَ قَصْدَهُمْ
 وَمُدْعُونَ لَدَيْهِ مُنْذُ عَهْدِهِمْ
 وَسَائِلُونَ وَفَاهُ مِنْ مُمَدِّهِمْ
 وَوَأَقْفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ
 هُمْ الْخِيَارُ وَسِرُّ الْكَوْنِ خَيْرُهُ
 تَخَصُّصًا جَلَّتِ الْمَعْنَى بِصِيرَتُهُ
 وَأَوْسَقَ اللَّهُ بِالْغَايَاتِ سَيْرَتُهُ⁽¹⁾
 فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصَوْرَتُهُ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِيءُ النَّسَمِ
 عَوَالِمُ الْقُرْبِ مَأْوَى سِرِّ بَاطِنِهِ
 وَأَشْرَفُ الْوَهْبِ فَيْضٌ مِنْ خَزَائِنِهِ
 وَغَايَةُ الْقَصْدِ تُرْجَى مِنْ مَعَادِنِهِ
 مُنْزَرَةً عَنِ شَرِيكِ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ [أ7]
 جُلُّ فِي الْمَدِيحِ وَلَا تَسْمُ إِلَى السَّامِ
 فِي فَضْلِ مَنْ مَدَحُهُ فِي نَوْنٍ وَالْقَلَمِ⁽²⁾
 الْمُصْطَفَى خَيْرٌ مُخْتَارٍ مِنَ الْقَدَمِ
 دَعَا مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ
 قُلْ مَا تَشَاءُ وَلَا تُنْسَبْ إِلَى سَرَفِ
 أَنَّى وَحُسْنُ مَعَانِيهِ بِلا طَرْفِ
 وَأَنْسَبُ إِلَى لُطْفِهِ مَا شِئْتَ مِنْ لُطْفِ
 وَأَنْسَبُ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفِ وَأَنْسَبُ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ
 مَنْ كَانَ فِي حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ مَنْزِلُهُ
 وَرَبُّهُ لِاجْتِلَا الْمَعْنَى مُؤَهَّلُهُ

(1) الْوَسَقُ وَالْوَسَقُ: ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقَدْ وَسَقْتَهُ.

(2) تَعْنِي بِذَلِكَ قَوْلَ اللَّهِ -تَعَالَى- فِي سُورَةِ "تُون": "تُونٌ وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطَرُونَ".

مَنْ ذَا يَقُومُ بِمَدْحٍ أَوْ يُفَصِّلُهُ
 فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ
 خَيْرُ الْوَرَى وَأَعَزُّ الْعَالَمِينَ حِمَى
 وَرَحْمَةٌ شَمَلْتَنَا بِالْوَفَا كَرَمًا
 أَعْلَى النَّبِيِّينَ قَدْرًا كَمْ حَبَا نِعَمًا
 لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرُهُ آيَاتُهُ عِظَمًا أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ
 جَلَا بِنُورِ الْهُدَى مُحَلُولِكَ الشُّبَهِ
 فَلَيْسَ يُنْكِرُهُ إِلَّا ذَوُو الْعَمَةِ (1)
 وَفَى وَفَاهُ وَفَى تَشْرِيْعَ مَذْهَبِهِ
 لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَعْمَى الْعُقُولُ بِهِ (2) حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهْمِ [7ب]
 فِي مَبْدَأِ الْوَحْيِ قِيلَ أَقْرَأْ لَهُ فَقَرَأَ
 وَفِي نِهَائِيَّتِهِ فِي الْقَابِ قَدْ حَضَرَ
 أَقْصَرَ فَعَنْ كُنْهِ مَرْمَاهُ النَّهْيِ قَصْرًا
 أَعْيَا الْوَرَى فَهَمُّ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُفْتَحِمٍ
 بِيَوْمِ بَدْرِ وَفِي الْبِأَسَاءِ مِنْ أَحَدٍ
 قَلَّ الْجُمُوعَ وَقَدْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ
 بَدَا فَعَجَزُ النَّهْيِ بَادٍ لِذِي رَشَدٍ
 كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بَعْدٍ صَغِيرَةً وَتُكَلِّلُ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ
 نُورٌ هَدَيْتَنَا إِلَى الْمَوْلَى طَرِيقَتُهُ
 أَنَى يُحِيطُ بِهِ عَقْلٌ وَحِيطَتُهُ
 فِي ضِمْنِهَا الْعَالَمُ الْعُلُويِّ وَجَبْرِتُهُ (3)
 وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلْمِ؟
 هُوَ الْخَصِيصُ وَلَا رَسْمٌ وَلَا أَنْزَ
 وَلَا سَمَاءٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ
 أَنَى تُحِيطُ بِهِ مِنْ ذَاتِنَا فِكْرٌ
 فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ [8أ]
 مَجْدٌ عَلَاهُ إِذَا مَا كُنْتَ مُنْتَبِهَا
 فَفِيهِ كُلُّ جَمَالٍ فِي الْوَرَى وَبِهَا
 بِهِ اسْتَبَانَ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَبَّهَا
 وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلَ الْكِرَامُ بِهَا فَإِنَّمَا انْتَصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
 آيَاتُهُ ظَهَرَتْ مِنْهَا عَجَائِبُهَا

(1) العمه: التردد والتحير في ضلالة.

(2) رواية الديوان: "بما تعيا"، واختيار الشاعرة: "بما تعمي"، ولعلها أرادت عمى بصيرة العقول وضلالها.

(3) التاء في الأسطار مضمومة، وفي البيت المخمس مفتوحة.

وَأُرْسِلَتْ كَرَمًا جَمًّا سَحَائِبَهَا
 وَالْأَنْبِيَاءُ بِهِ نَالَتْ رَغَائِبَهَا
 فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلِ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلْمِ
 شَعْرٌ كَلِيلٍ وَفِيهِ فَرْقُهُ فَلَقُ
 وَجْهٌ كَبِيرٌ وَزَاهِي حَدَّهُ شَفَقُ
 كَفُّ كَسْحِبٍ وَمِنْهَا سَبِيحُهَا غَدَقُ⁽¹⁾
 أَكْرَمُ بِخُلُقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقُ بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمٍ!
 مُكَمَّلِ الذَّاتِ زَاكِي الوَصْفِ ذِي شَرَفٍ
 لَا يَنْتَهِي حُسْنُ مَعْنَاهُ إِلَى طَرْفٍ
 وَافِي الْجَمَالِ بِتَمِّ الْحُسْنِ مُنْصِفٍ
 كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمٍ [8ب]
 قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِي مَعْنَى رِسَالَتِهِ
 آيَاتٍ حَقَّ جَلَاهَا فِي دِلَالَتِهِ
 هُوَ الْوَجِيهُ الَّذِي فِي كُلِّ حَالَتِهِ
 كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَسَمِ
 مَدِيحُهُ جَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ مَعَ صُحُفٍ
 وَحَوْرُهُ لِجَمِيعِ الْحُسْنِ غَيْرُ خَفٍ
 جُلُّ فِي الصِّفَاتِ وَلَا تُنْسَبُ إِلَى جَنَفٍ
 كَأَنَّمَا اللَّوْلُوُ الْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ مِنْ مَعْدِنِي مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمَبْتَسِمِ
 مُخَصَّصٌ بِدُنُوِّ لَيْسَ يَعْلَمُهُ
 إِلَّا الْإِلَهَ الَّذِي فِي الْحَشْرِ يُكْرِمُهُ
 طَهَ الَّذِي حُبُّهُ مَا زِلْتُ أَلْزَمُهُ
 لَا طَيْبَ يَعْدِلُ تَرْبًا ضَمَّ أَعْظَمُهُ طُوبَى لِمَنْتَسِقٍ مِنْهُ وَمُنْتَمِ
[القِسْمُ الرَّابِعُ فِي مَوْلِدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]
 جَلَا الْجَمَالَ لَنَا مِنْ أَفْقِ مَظْهَرِهِ
 وَحَازَ كُلَّ كَمَالٍ سِرُّ مَضْمَرِهِ
 وَمُنْدُ وَافِي لَنَا فِي حِينِ أَعْصَرِهِ
 أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنَ طَيْبِ عُنْصَرِهِ يَا طَيْبَ مُفْتَتِحِ مِنْهُ وَمُخْتَتِمِ [9أ]
 اللهُ أَكْبَرُ ذَلَّ الشَّرْكَ وَالصَّنَمُ
 وَعَزَّ دِينُ الْهُدَى وَاسْتَرْسَلَ الْكَرَمُ
 وَوَلَّاحَ نَوْرٌ جَلَّتْ أَنْوَارُهُ الظُّلْمُ⁽²⁾
 يَوْمَ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ قَدْ أَنْذَرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ

(1) السَّيِّبُ: العطاء.

(2) قلبت الشاعرة المعنى حين جعلت الظلم تجلو الأنوار، وهو وجه متقبل.

بَدَتْ بَوَاهِرُ آيَاتِ لَهَا لَمَعُ
 فَكُلُّ قَلْبٍ مِنَ الْكُفَّارِ مُنْخَلَعُ
 دُهُوًا وَعَمَّهُمْ مِمَّا رَأَوْا فَرَعُ
 وَبَاتَ إِبْوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعُ كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِعِ
 ضَلُّوا فَظَلُّوا لِفِرْطِ الْجَهْلِ فِي سَدَفِ⁽¹⁾
 سَكْرَى حَيَارَى عَلَى الْإِشْرَاكِ فِي لَهْفِ
 وَالنَّوْرُ يَسْطَعُ جَهْرًا غَيْرَ مُنْكَسِفِ
 وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفِ عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ
 حَالَتْ مَعَانِي مَغَانِيهِمْ وَزَهْرُهَا
 وَبَدَلَ اللهُ بِالتَّغْيِيرِ نَضْرَتَهَا⁽²⁾
 مِنْ بَعْضِ ذَلِكَ أَنْ خَرَّتْ أَسْرَتُهَا
 وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بِحَيْرَتُهَا وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْعَيْظِ حِينَ ظَمِي [9ب]
 تَسَاهَمُوا فَهَمُّ مَا بَيْنَ مُعْتَقَلِ
 عَنِ الْخِطَابِ وَمَأْخُودِ وَمُخْتَبَلِ
 لَمَّا رَأَوْا فِيهِمَا مِنْ حَادِثِ جَلِّ
 كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلِ حُرْنَا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ
 آيَاتُ مَوْلِدِهِ لِلْخَيْرِ جَامِعَةٌ
 وَزَهْرُهَا فِي سَمَاءِ السَّعْدِ طَالِعَةٌ
 فَكَيْفُ تَنْكُرُ وَالْأَخْبَارُ شَائِعَةٌ
 وَالْحِجْرُ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمِ
 آيَاتُ حَقِّ بَدَتْ فِي حِينِهَا كَعَلَمِ
 وَوَلَا حَ نَوْرُ ضِيَاهَا فِي الْوُجُودِ وَعَمِّ
 بَشِيرَةٌ وَلَهُمْ قَدْ أَنْدَرْتُ بِنَقَمِ
 عَمُوا وَصَمُّوا فَاِغْلَانُ الْبِشَائِرِ لَمْ تُسْمَعِ وَبَارِقَةُ الْإِنْدَارِ لَمْ تُشَمِ
 بَدَا الْهُدَى وَظَلَامُ النَّفْسِ فَاِئْتَهُمْ
 وَالشَّرْكَ مِنْ بَعْضِ مَا ضَمَّتْ مَعَادِنُهُمْ
 تَبَّأَ لَهُمْ فِرْقَةٌ سَيِّئَتْ بَوَاطِنُهُمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمْ [10أ]
 خَرَّتْ تَمَاتِيلُهُمْ فِي زِيٍّ مُضْطَرِبِ
 رَأَى الْعِيَانَ فَأَمْسَوْا فِي لَطَى كَرِبِ
 بُوْسًا لَهُمْ أَضْحَوْا بِالْحُرْنِ فِي لَهَبِ
 وَبَعَدَ مَا عَابُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهَبِ مَنقُصَةً وَفَقَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

(1) السَّدَف: الظلمة من أول الليل وآخره.

(2) النَّضْرَةُ: الحسن والرويق.

عَرَبِيَّةِ الْحُكْمِ فِي إِضَادِهَا حِكْمٌ
لِكُلِّ مُسْتَرْقٍ مِنْ نَارِهَا نَقَمٌ
رُمُوا بِأَسْهُمِهَا وَالْكُلُّ مُرْتَجَمٌ
حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَرَمٌ مِنْ الشَّيَاطِينِ يَفْقُو إِثْرَ مُنْهَرِمٍ
كَمْ آيَةٌ بِعُلَا طَهٍ مُنَوَّهَةٍ
وَفِي حَدَائِقِ مَا أُوتِيَ مُنْزَهَةٍ
مِنْهَا انْهَزَامُ شَيَاطِينِ مُشَوَّهَةٍ
كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أُبْرَهَةٍ أَوْ عَسْكَرُ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي
اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ خَيْرٍ وَفِي وَتَمَا
مِنْ رَاحَتَيْهِ وَكَمْ وَرِدٍ صَفَا وَهَمِي
وَبِالْحَصَى قَدْ أَبَادَ الْجَمْعَ حِينَ رَمِي

نَبْدًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحِ بِيْطْنِهِمَا نَبْدَ الْمُسْبِحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ [10ب]

[الْقِسْمُ الْخَامِسُ فِي مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

حَقَّقُ تَرَّ آيَهُ كَالْمَوْجِ وَارِدَةً
مُمْتَدَّةً وَالِي الْإِيمَانِ قَائِدَةً
مِنْ بَعْضِ مَا قَدْ رُئِيَ مِنْهَا مُشَاهِدَةً
جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقِ بِلَا قَدَمٍ
جَاءَتْ تَشْقُ الثَّرَى مِنْ بَعْدِ (1) مَا طَلَبَتْ
مَجِيءَ جَارِيَةٍ مِنْ سَطْوَةٍ رَهْبَتْ
وَسَلَّمَتْ نَمَّ لَمَّا أَنهَا انْقَلَبَتْ
كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ
وَالْعِدْقُ مِنْ نَخْلَةٍ شَمَاءَ زَاهِرَةٍ (2)
أَضْحَتْ قَضِيئَتُهُ فِي الطُّوعِ طَاهِرَةً
وَرَدَّ شَمْسَ الضَّحَى فِي الْأُفُقِ سَافِرَةً
مِثْلَ الْعِمَامَةِ أُنَى سَارَ سَائِرَةً تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمٍ
جَلَّ الَّذِي قَبْلَ خَلْقِ الْكَوْنِ فَضَّلَهُ
وَبِالْمَحَاسِنِ وَالْإِحْسَانِ كَمَلَهُ
وَلِلشُّهُودِ بِقَابِ الْقُرْبِ أَهْلَهُ
أَفْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ [11أ]

وَمَا حَوَى الصَّدْرُ مِنْ عِلْمٍ وَمَنْ جَكَمِ
وَمَا رُوي عَنْهُ فِي الْآثَارِ مِنْ كَلِمِ
وَمَا تَضَمَّنَ قَابُ الْقُرْبِ مِنْ نِعَمِ

(1) في الأصل: "عندما"، وصححت في الهامش.

(2) في هذه الشطرة إقواء. العدق: عرجون النخل.

وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمٍ
 كَادُوا وَكِيدُوا وَزَبُّ الْعَالَمِينَ حَمَى
 نَبِيَّهُ الْأَشْرَفَ الدَّاعِي بِمَا عَلِمَا
 نَبَأًا لَهُمْ وَلَهُمْ⁽¹⁾ بِالْخِزْيِ قَدْ حُكِمَا
 فَالصَّدُوقُ فِي الْغَارِ وَالصَّدِيقُ لَمْ يَرِمَا وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمٍ
 كَمْ آيَةٍ ظَهَرَتْ فِي نَصْرِهِ وَجَلَا
 بُرْهَانُهَا صِدْقُهُ فِيمَا أَتَى وَتَلَا
 حُسْرًا لَهُمْ غُصْبَةٌ لَمْ يَبْرَحُوا جُهْلًا
 ظَلُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ
 وَفِي الْوَفَاءِ وَأَعْنَى عَنْ مُسَاعَفَةٍ
 بِسَطْوَةٍ لِأَعَادِي اللَّهِ قَاصِفَةٍ
 وَنُصْرَةٍ لِحَبِيبِ اللَّهِ هَاتِفَةٍ
 وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدَّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأَطْمِ [11ب]
 هُوَ الْمُرَادُ لِقَلْبِي فِي تَطَلُّبِهِ
 وَهُوَ الْوَسِيلُ لَهُ فِي تَيْلِ مَارِيهِ
 مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى جَالِي دُجَى الشُّبْهِ
 مَا ضَامَنِي الدَّهْرُ يَوْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ⁽²⁾ إِلَّا وَتَلْتُ جَوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضَمِ
 وَلَا ظَمِئْتُ إِلَى عَذْبٍ بِمَوْرِدِهِ
 إِلَّا وَتَلْتُ الرُّوَا مِنْ فَيْضِ مَشْهَدِهِ
 وَنَارَ قَلْبِي مِنْ طَهٍ بِمَقْصِدِهِ
 وَلَا التَّمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ
 هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي مَوْلَاهُ أَرْسَلَهُ
 لِكَافَةِ الْخَلْقِ تَخْصِيصًا وَفَضْلَهُ
 وَفِي مَمَالِكِ قَابِ الْقُرْبِ خَوْلَهُ
 لَا تُتَكَّرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمْ
 يَرَى وَيَسْمَعُ تَحْقِيقًا بِغَفْوَتِهِ
 مَا لَيْسَ يُدْرِكُهُ فِكْرٌ بِقُوَّتِهِ
 مِنْ صِدْقِ وَحْيٍ [وَأْتَخْصِيصٍ بِخَطْوَتِهِ⁽³⁾
 وَذَلِكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوتِهِ فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالٌ مُحْتَلِمٍ [12أ]
 مُحَمَّدٌ كَامِلُ الْأَخْلَاقِ ذُو أَدَبٍ
 لَاحَتْ زَوَاهِرُهُ فِي أَفْقِ مُقْتَرَبٍ

(1) في الأصل: "تبا لهم فرقة"، وصححت في الهامش.

(2) رواية الديوان: "ما سامني الدهر ضيما"، واختيار الشاعرة ملاق في معناه الكلي لمراد البوصيري.

(3) ما بين المعقوفين إضافة من المحقق.

وَجَاءَهُ الْوَحْيُ⁽¹⁾ وَالْأَكْوَانُ فِي حُجْبٍ
 تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحْيِي بِمُكْتَسَبٍ وَلَا نَبِيِّ عَلَيَّ غَيْبٍ بِمُتَّهَمٍ
 عُرَّ الْجَوَامِعُ مَا حَازَتْ فَصَاحَتُهُ
 وَكُلُّ حُسْنٍ حَوَتْ مِنْهُ مَلَا حَتُّهُ
 وَرَاحَةُ الْمُجْتَلَى وَالْقُرْبُ رَاحَتُهُ
 كَمْ أَبْرَأْتُ وَصَبَاً بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ وَأَطْلَقْتُ أَرْبَاً مِنْ رَيْقَةِ اللَّحْمِ
 وَاسْتَأْصَلْتُ دَوْلَةَ الْإِشْرَاكِ سَطْوَتُهُ
 وَأُدْهَشْتُ سَائِرَ الْأَلْبَابِ سَرْوَتُهُ⁽²⁾
 وَأُرْسَلْتُهَا مَدَارَ الْفَضْلِ خَطْوَتُهُ
 وَأَحْيَيْتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصِرِ الدُّهْمِ
 كَمْ آيَةٌ ظَهَرَتْ مِنْهُ لِطَالِبِهَا
 وَدَعْوَةٌ أَنْجَحَتْ قَصْدًا لِصَاحِبِهَا
 مِنْ رَحْمَةٍ وَاجَهَّتُهُ مِنْ سَحَائِبِهَا
 بَعَارِضٍ جَادَ أَوْ خَلَّتِ الْبِطَاحَ بِهَا سَيَّبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرَمِ [12ب]
[الْقِسْمُ السَّادِسُ فِي شَرْفِ الْقُرْآنِ وَمَدْحِهِ]
 يَا جَاهِلَ الْأَمْرِ وَالْأَلْبَابِ قَدْ قَصُرْتُ
 عَنْ حَصْرِ أَوْصَافِ مَنْ آيَاتُهُ بَهَّرَتْ
 قَلْبِي الطَّرُوبُ بِهَا آيَانٌ مَا⁽³⁾ ذُكِرْتُ
 دَعْنِي وَوَصَفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ظُهُورَ نَارِ الْقُرَى لَيْلًا عَلَى عَلمٍ
 لَاحَتْ وَوَأَفَتْ بِهَا مِنْ فَيْضِهِ نَعْمٌ
 وَفَرَّجَتْ عَنْ مَوَالِيهِ بِهَا غَمٌّ
 يَرَوْفُنِي الْمَدْحُ فِيهَا وَهُوَ مُنْسَجِمٌ
 قَالِدُرٌ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظِمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمٍ
 أَطْنِبُ وَقُلُّ مَا تَشَا فَيَمُنْ دَنَا وَعَلَا
 وَلَمْ يَزِغْ فِي مَقَامِ الْقُرْبِ حِينَ خَلَا
 بِالِغِ فُكُلُ تَنَاءٍ دُونَ مَنْ كَمَلَا
 فَمَا تَطَاوَلُ أَمَالَ الْمَدِيحِ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ
 أَشَوَاقُنَا لِجَدِيدِ الْوَجْدِ مُبْعَثَةٌ
 وَدَاعِيَاتُ التَّقَى فِيهِ مُحْتَجَّةٌ⁽⁴⁾

(1) في الأصل: "وهو المنبأ"، وصححت في الهامش، فغدت: "وجاءه الوحي".

(2) السرو: السرية والسرية، وهذا ما إخالها قصدت؛ أعني الإسرائ، السير في الليل، والوصيب المريض والموجوع.

(3) في الأصل: "أينما" مكان "أيان ما"، وبه ينكسر الوزن، والصواب ما أثبتته.

(4) الحنئة: الحركة المتداركة والسرعة.

بِالصَّدَقِ جَاءَ وَمَا فِي الصَّدَقِ مَعْبَةٌ
آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمُوصُوفِ بِالْقَدَمِ [13أ]
هُدًى وَنُورٌ مِنَ الْمَوْلَى يُبَصِّرُنَا
وَرَحْمَةٌ مِنْهُ بِالْحُسْنَى تُذَكِّرُنَا
وَاقَتْ إِرْبَابَ آيَةِ الْكُبْرَى تُبَشِّرُنَا (1)
لَمْ تَقْتَرِنْ بِرَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ
أَعْظَمَ بِأَيِّ لِكْلِ الْقَصْدِ مُحَرَّرَةٌ
وَلِلْوَعْدِ بِفَضْلِ اللَّهِ مُنْجِرَةٌ
بَدِيعَةٌ وَمَعَ النَّبِيَانِ مَوْجِرَةٌ
دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِرَةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدَمْ
جَلَّتْ بِنُورٍ هُدَاهَا كُلَّ مُشْتَبِهٍ
وَأَرْشَدَتْ بِالْمَعَانِي كُلَّ مُنْتَبِهٍ
وَفُصِّلَتْ لِلْبَيْبِ عَارِفٍ نَبِيهِ
مُحَكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِيَنَّ مِنْ شُبُهَةٍ لَذِي شِفَاقٍ وَمَا تَبْغِيَنَّ مِنْ حَكَمِ
مُقَدَّسَاتٌ أَبَانَتْ كُلَّ مُحْتَجِبِ
وَأَوْضَحَتْ مِنْهُجَ التَّحْقِيقِ فِي طَلَبِ
وَأُودِعَتْ كُلَّ مَا قَدْ جَاءَ فِي كُنُوبِ
مَا حُورِيَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلْمِ [13ب]
رَوَى ظِمَاءَ الْمَوَالِي جَوْدٌ عَارِضِيهَا (2)
وَكُلُّ وَهْبٍ بَدَا مِنْ بَعْضِ قَائِضِيهَا (3)
بِهَا تَمَسَّكَ وَدَعْنِي مِنْ مُنَاقِضِيهَا
رَدَّتْ بِلَاغَتِهَا دَعْوَى مُعَارِضِيهَا رَدَّ الْغَيْوْرِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحُرْمِ
فُدْسِيَّةٌ صَدَرَتْ عَنْ وَاحِدٍ أَحَدِ
مُهَيِّمِينَ بِالْوُجُودِ الْحَقِّ مُنْفَرِدِ
جَاءَتْ بِجَبْرِ كَسِيرٍ وَازْتِوَاءِ صَدِّ (4)
لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ
بِأَنْعَمِ اللَّهِ قَدْ جَاءَتْ سَحَائِبُهَا
وَفَرَّقَتْ فِي أَهَالِيهَا مَوَاهِبُهَا
سَمَاءٌ فُدْسٌ مَعَانِيهَا كَوَاكِبُهَا
فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْتَارِ بِالسَّامِ

(1) ما بين المعقوفين إضافة من المحقق.

(2) الجود: المطر الغزير، والعارض: السحاب المطل يعترض في الأفق.

(3) قائضها: ما انشق منها، يقال: قبضت السماء والبيضة وانقاضت إذا تصدعت وانشقت.

(4) الصدي والصادي: العطش.

طوبى لِعَبْدٍ إِلَهُ الْعَرْشِ أَهْلَهُ
 لِحَمَلِ مَا مِنْ جَمِيلِ الذِّكْرِ أَنْزَلَهُ
 آيَاتُ حَقِّ بِهَا الرَّحْمَنُ فَضَّلَهُ
 قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ ظَفَرْتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاغْتَصِمِ [14 أ]

يَا خَاطِبًا طَيِّبٍ وَصَلِّ دَائِمًا وَحِظًا⁽¹⁾
 إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ مَعَانِي حُسْنِهَا لَحَظَا
 دَاوِمٌ عَلَيْهَا وَكُنْ مَا عِشْتَ مُحْتَقِظَا
 إِنْ تَتْلُهَا خَيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَطَى نِعْمَ الشَّفِيعُ لِتَالِيهَا بِمَطْلَبِهِ
 وَهِيَ الْغِيَاثُ لَهُ فِي ضَيْقٍ مَذْهَبِهِ
 نُورٌ فَكَمْ قَدْ جَلَّتْ لَيْلًا مِنَ الشُّبْهِ
 كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَنْبِيضُ الْوُجُوهِ بِهِ مِنَ الْعَصَاةِ وَقَدْ جَاوَوْهُ كَالْحَمَمِ
 قَدْ أَحْرَزْتَ جُمَلَ الْخَيْرَاتِ مُجْزَلَةً
 مُبَيِّنَاتٌ غَدَّتْ بِالْحَقِّ مُنْزَلَةً
 بَيْنَ الْحَقَائِقِ وَالْأَوْهَامِ تَفْصِيلَةً
 وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةً فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَفْهِمْ
 تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْخَلْقِ مُظْهِرُهَا
 فِي مَظْهَرِ الْوَحْيِ آيَا لَا يُفَسِّرُهَا
 إِلَّا بِصِيرٍ بِنُورِ الْحَقِّ يُبْصِرُهَا
 لَا تَعْجَبَنَّ لِحَسْوِدٍ رَاحَ يُنْكَرُهَا تَجَاهُلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاقِقِ الْفَهِيمِ [14 ب]

إِنْ أَنْكَرْتَهَا عَقُولٌ مِنْ ذَوِي حَسَدٍ
 وَاسْتَرْسَلَتْ وَتَعَامَتَتْ عَنْ ضِيَا رَشَدٍ
 وَأَنْكَرْتَ كُلَّ مَوْعُودٍ بِهَا بَعْدٍ
 قَدْ تُنْكَرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكَرُ الْفَمُّ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ

[الْقِسْمُ السَّابِعُ فِي إِسْرَائِيلِهِ وَمِعْرَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

يَا مَنْ عَلَى الشَّمْسِ قَدْ فَاقَتْ صَبَاحَتَهُ
 وَأَعْيَتْ الْبُلْغَا طُرًّا فَصَاحَتَهُ
 يَا رُوحَ رُوحِ مُوَالِيهِ وَرَاحَتَهُ
 يَا خَيْرَ مَنْ يَمُّ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الْإَيْتِقِ الرُّسْمِ
 وَمَنْ هُوَ النَّيِّرُ الْأَسْنَى لِذِي نَظَرٍ
 وَمَنْ هُوَ الْمَطْلَبُ الْأَعْلَى لِمُذَكَّرٍ
 وَمَنْ هُوَ الْغَايَةُ الْفُصُوى لِمُفْتَخِرٍ
 وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ وَمَنْ هُوَ النَّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُعْتَمِرٍ

(1) حِظًا وَحِظًا: كَلَّ جَمَعَ الْحِظْوَةَ وَالْحِظْوَةَ وَالْحِظْوَةَ.

أَنْتِ الْمُمَجَّدُ فِي التَّنْزِيلِ مِنْ حَكَمٍ
وَمِنْكَ يُسْتَمَطَّرُ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَرَمٍ
وَأَنْتِ يَا صَاحِبَ التَّقْدِيمِ فِي قَدَمٍ
سَرَيْتِ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ [15أ]

عَدَّتْ بِمَسْرَاكِ سَحْبِ الْخَيْرِ مُرْسَلَةً
وَأَوْجُهُ الْوَجْهَ بِشَرًّا مَهْلَلَةً
وَمِنَّهُ اللهُ لِلتَّخْصِيسِ مُوَصَّلَةً
وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نَلْتِ مَنْزِلَةً مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرْمِ
أَعْظَمَ بِهَا وَصَلَةً زَيْنَتِ بِكُلِّ بِهَا
وَأَمَّ كُلَّ حَخِصِصٍ نَحْوَ مَذْهَبِهَا
يَرْجُو لَدَيْكَ الْوَفَا يَا شَمْسَ مَوْكِبِهَا
وَقَدَمَتِكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
أَنْتِ الْإِمَامُ لِكُلِّ فِي تَقَرُّبِهِمْ
وَأَنْتِ شَافِعُهُمْ⁽¹⁾ فِي نَيْلِ مَطْلَبِهِمْ
وَأَنْتِ تَاوَجُ عَلَاهُمْ حِينَ مَذْهَبِهِمْ
وَأَنْتِ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ فِي مَوْكِبٍ كُنْتِ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ
مَا زِلْتِ تَسْمُو عَلَى الْعُلَيَاءِ مِنْ أَفْقِ
وَالرَّجُحُ يُرْجِي لَكَ الْإِدْنَا بِلا طُرُقِ
وَالْقُدْسُ يَنْفِي مَجَالَ الْكَيْفِ فِي طَلْقِ
حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعِ شَأْوًا لِمُسْتَبِقِ مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقَى لِمُسْتَنَمِ [15ب]

بَلَّغْتِ يَا خَيْرِ هَادٍ لِلدُّنُوِّ جُبْدُ⁽²⁾
مَرْمَى بِهِ كُلُّ مَا تَدْرِي الْعُقُولُ نُبْدُ
وَحِينَ فُزْتِ بِمَجْلَى سِرِّ كُلِّ مَلْدُ
خَفَضْتِ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ نُودِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ
أَحْرَزْتِ جَمَّ نَوَالٍ غَيْرِ مُنْحَصِرِ
فَالْعَقْلُ فِي الْعَقْلِ عَمَّا نَلْتِ مِنْ غُرْرِ
لَمَّا دُعِيَتْ إِلَى تَخْصِيسِ مُقْتَدِرِ
كَيْمَا تَقُورَ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَبِرِ عَنِ الْعُيُونِ وَسِرِّ أَيِّ مُكْتَمِ
تَبَارَكَ اللهُ كَمْ جَاوَزْتَ مِنْ فَلَكَ
حَتَّى بَلَّغْتِ طَرِيفًا غَيْرَ مُنْسَلِكِ
لَمْ يَدْرِهِ مِنْ نَبِيِّ لَا وَلَا مَلِكِ
فَحَزَّتْ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرِكِ وَجَزَّتْ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُرَدِّحِ

(1) في الأصل: "وُصَلْتِهِمْ" مكان "شافعهم"، وصححت في الهامش.

(2) جُبْدُ: الجُبْدُ لغة في الجذب، وفي الحديث الشريف: "فجذبني رجل من خلفي...".

اللهُ أَكْبَرُ كَمْ بُلَّغْتَ مِنْ طَلَبِ
 بِقَابِ حُطُوتِكَ الْكُبْرَى بِمُقْتَرَبِ
 فَعَزَّ إِحْصَاءُ مَا أَحْرَزْتَ مِنْ نُحْبِ
 وَجَلَّ مَقْدَارُ مَا أُؤَلِّيتَ مِنْ رُتَبِ وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُؤَلِّيتَ مِنْ نِعَمِ [16أ]
 عَمَرْتَنَا بِجَمِيلٍ مِنْكَ أَهْلَنَا
 لِلأَخْذِ عَنكَ وَاللَّخِيْرَاتِ أَوْصَلْنَا
 لَنَا الْهَتَا بِكَ فِي الأُخْرَى نَعْمَ وَهَنَا
 يُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا مِنْ العِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ
 نَحْنُ الَّذِينَ عَرَفْنَا مِنْ بِرَاعَتِهِ
 دِينًا قَوِيمًا وَصِرْنَا مِنْ جَمَاعَتِهِ
 وَفِي المَعَادِ لَنَا عُظْمَى شِفَاعَتِهِ
 لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِيِنَا لِطَاعَتِهِ بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَّمِ
[القِسْمُ الثَّامِنُ فِي جِهَادِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]
 بِنِعْمَةِ اللهِ مَوْلَانَا وَمِنَّتِهِ
 قَدْ أَرْسَلَ اللهُ هَادِيِنَا بِرَحْمَتِهِ
 وَفِي رِسَالَتِهِ مِنْ فُؤْدِ حَضْرَتِهِ
 رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا أَنْبَاءُ بَعْتَتِهِ كَنَبَاةً أَجْفَلَتْ غُفْلًا مِنَ العَنَمِ
 هُوَ الَّذِي قَدْ أَتَى وَالنَّاسُ فِي حَلْكِ
 مِنَ الضَّلَالِ وَبِالأَوْهَامِ فِي شَرِكِ
 مَا بَيَّنَّ شَاكٍ وَمَطْمُوسٍ وَمُرْتَبِكِ
 مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مَعْتَرِكِ حَتَّى حَكَّوْا بِالقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ
 تَبًّا لَهُمْ فِرْقَةً بِالجَهْلِ وَالشَّبَهِ
 عَمَوْا وَصَمَوْا وَأَخْطَوْا نَوْرَ مَذْهَبِهِ
 وَمُنْذُ غَدَا بِاطِّشًا فِيهِمْ بِأَصْحَبِهِ
 وَدُّوا الفِرَارَ فَكَادُوا يَغِيْطُونَ بِهِ أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبَانِ وَالرَّحْمِ [16ب]
 أَفْتَنَّهُمْ نَجْدَةُ الهَادِي وَسَطَوْتُهَا
 وَاسْتَنْزَعَتْ مِنْهُمْ الأَرْوَاحَ شِدَّتْهَا
 مِنْهُمْ سُكَارَى لِمَا أَبَدَتْهُ بِطُشَّتْهَا
 تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الحُرْمِ
 فِي لُجَّةِ المَوْتِ قَدْ طَالَتْ سِبَاحَتُهُمْ
 وَنَارَ عَثْمِهِمْ بِهَوْلِ النَّزْعِ رَاحَتُهُمْ
 وَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا كَالْحَائِثُهِمْ⁽¹⁾
 كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدَا قَرْمِ

(1) كَلَّاحَتَهُمْ: تَكَشَّرَ فِي عِبُوسٍ.

شَهْمٌ شُجَاعٌ كَرِيمٌ فِي مُكَافَحَةِ
 مُكَمَّلٌ سَالِكٌ فِي نَهْجٍ وَاضِحَةٍ
 يَجْلُو حَقَائِقَهَا فِي كُلِّ لَائِحَةٍ
 يَجْرُ بَحْرَ حَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُنْتَظِمٍ
 اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ آيٍ لِمُنْتَصِبٍ
 مُهْدَبٍ بِعُلُومِ الْأَصْفِيَا دَرِبٍ
 لَاحَتْ بِسِيرَةِ قَوْمٍ سَادَةِ عَرَبٍ
 مِنْ كُلِّ مُنْتَدَبٍ لِلَّهِ مُخْتَسِبٍ يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُصْطَلِمٍ [17أ]
 قَامُوا وَعَيْنُ الْهُدَى مَضْمُونٌ مَذْهَبُهُمْ
 وَفَيْضُ فَضْلِ الْوَفَا مَوْدُوعٌ مَشْرَبُهُمْ
 وَنُصْرَةُ اللَّهِ تَفْجِي فِي تَقْلِبِهِمْ⁽¹⁾
 حَتَّى عَدَتْ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مُوَصُولَةَ الرَّجْمِ
 جَلَّتْ قَوَاضِيَهُمْ بِالْجِدِّ عَنِ لَعِبٍ
 فَالْشَّرْكَ فِي هَرَبٍ وَالضُّدَّ فِي رَهَبٍ
 وَمِلَّةَ الْمُصْطَفَى فِي كُلِّ مَا سَبَبٍ
 مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبِي وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَبْتِمَّ وَلَمْ تَتِمَّ
 هُمْ الْغِيُوثُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مَكَارِمَهُمْ
 هُمْ الْأَمَانُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُؤَاوَزَهُمْ
 هُمْ اللَّيُوثُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُبَارِرَهُمْ
 هُمْ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَلِمٍ
 وَسَلَّ حُصُونًا جَلُّوا مِنْ أَهْلِهَا عَدَدًا
 وَسَلَّ بِخَيْرٍ كَمْ أَرَدُوا بِهَا جَسَدًا
 وَسَلَّ فُرِيظَةً هَلْ أَبَقُوا بِهَا أَحَدًا
 وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أُحَدًا فُصُولٌ حَتْفٍ لَهُمْ أَدَهَى مِنَ الْوَحْمِ [7ب]

الْوَارِدِي الْحَرْبِ صِدْقًا حَسِيمًا شَهَدَتْ
 لَهُمْ بِذَلِكَ آيٍ فِي الْقُرْآنِ هَدَتْ
 الْعَاذِلِينَ نَفُوسًا فِي الْمَلَا حُمِدَتْ
 الْمُصْطَفَى الْبَيْضِ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ مِنْ الْعِدَا كُلِّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللَّمَمِ
 وَالْمُصْطَفَيْنِ بِسَبْقٍ فِيهِ مَا اشْتَرَكْتَ⁽²⁾
 وَالْكَامِلِينَ بِأَخْلَاقٍ سَمَتْ وَرَكَتْ
 وَالضَّارِبِينَ بِهَامٍ طَالَمَا أُفِكَتْ⁽³⁾

(1) تفجى: تدفع، وفجيت الناقة تفجى إذا عظم بطنها.

(2) هكذا ضبطتها المصنفة.

(3) أفكت: صرفت عن الحق والإيمان.

وَالكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ أَفْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرِ مُنْعَجِمٍ
 وَالْقَائِمِينَ وَرَبُّ الْعَرْشِ مُنْجِرُهُمْ
 وَوَعْدَهُ وَبِعَيْنِ الْحِفْظِ يُحَرِّزُهُمْ⁽¹⁾
 أَمِّي الْوَطِيسِ وَلَا وَهْنٌ يُعَجِّزُهُمْ
 شَاكِي السَّلَاحِ لَهُمْ سَيْمًا تُمِيرُهُمْ وَالْوَرْدُ يَمْتَارُ بِالسَّيْمَا عَنِ السَّلَمِ
 أَعْرَظَ فِي جَمِيلِ الذَّكْرِ ذِكْرُهُمْ
 يُتْلَى وَبِالْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ فَخْرُهُمْ
 إِذَا بَدَتْ فِي سَمَاءِ الْحَرْبِ زَهْرُهُمْ⁽²⁾
 تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ تُشْرُهُمْ فَتَحَسَّبُ الرَّهْرُ فِي الْأَكْمَامِ كُلِّ كَمِي [18أ]
 فِي حُبِّ مَوْلَى الْوَرَى لَمْ يَنْزُكُوا سَبَبًا
 إِلَّا وَأَبْدَوْا بِهِ مِنْ صِدْقِهِمْ عَجَبًا
 أَمْوَا الْوَعَى وَتَهَادَوْا نَحْوَهُ طَرَبًا
 كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحُرْمِ
 أَبْدَوْا بِلَيْلِ الْوَعَى مِنْ نَوْرِهِمْ فَلَقَا⁽³⁾
 فَصَارَ كُلُّ عَدُوٍّ فِي الثَّرَابِ لَقَى⁽⁴⁾
 أَعْظَمَ بِهِمْ سَادَةً مُذْ أَقْبَلُوا فَرَقًا
 طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا فَمَا نُفِرُّكَ بَيْنَ النَّبْهِمِ وَالْبُهْمِ
 اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ لَاحَتْ لِذِي نَظَرٍ
 بَدَائِعَ ظَهَرَتْ فِي مَظْهَرِ نَصِيرٍ
 حَقَّقَ نَرَّ سَائِرِ الْأَشْيَا عَلَى قَدَرٍ
 وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيِّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ
 طَهَ الْحَبِيبُ الَّذِي فِي قَابِ وَصَلْتِهِ
 رَأَى الْغُيُوبَ وَمَا ضَمَّتْ بِمُقْلَتِهِ
 وَمِنْ وَجَاهَتِهِ الْعُلْيَا وَخَلَّتِهِ
 أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجْم [18ب]
 فَهُمْ بِظِلِّ أَمَانٍ غَيْرِ مُنْفَصِلٍ
 بِجَاهِ أَشْرَفِ مَحْبُوبٍ وَمُنْتَصِلٍ
 الْمُصْطَفَى لِشُهُودِ الذَّاتِ مِنْ أَزَلٍ
 كَمْ جَدَلْتَ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمٍ
 عِنَايَةُ اللَّهِ مِنْهُ غَيْرُ مُعْوَرَةٍ

(1) يحرزهم: يحفظهم ويحميهم.

(2) بين هذه الأسطار والشرط الأساس اختلاف في الحركة.

(3) الفلق: الصبح، وقيل الفجر.

(4) اللقى: الشيء الملقى على الأرض، والجمع ألقاء.

إلى سواه وبالمؤعودِ مُنْجِزَةً
يا طالبَ البَسْطِ في طه بِمَوْجِزَةٍ⁽¹⁾
كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيَوْمِ
[القِسْمُ التَّاسِعُ فِي التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]
لَمَّا مُنِيتُ بِقَلْبٍ فِي تَقَلُّبِهِ
يَرْجُو الْمُرَادَ وَلَمْ يَطْفُرْ بِمَطْلَبِهِ
فَصَدْتُ طه وَفِي سَيْرِي بِمَذْهَبِهِ
خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِ اسْتَقْبَالِ بِهِ ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالخِدَمِ
قَدْ أَشْغَلَانِي بِمَا شَانَتْ شَوَائِبُهُ
وَقَيْدًا عَنِ بُلُوغِ الْقَصْدِ طَالِبُهُ
هُوَ الْفُؤَادُ الَّذِي ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ
إِذْ قَلْدَانِي مَا تُخَشَى عَوَاقِبُهُ كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٍ مِنَ النَّعَمِ [19أ]
ضَاعَ الزَّمَانُ وَحَالِي مِثْلُ مَا عَلِمَا
مُدْبِدَّبٌ لَا إِلَى سُفْلٍ وَلَا لِسَمَا
مُرَدَّدٌ فِي تَقَاسِيمٍ لِمَا فُهِمَا
أَطَعْتُ عَيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْآثَامِ وَالنَّدَمِ
طَوْبِي لِأَنْفَسِ قَوْمٍ مِنْ طَهَارَتِهَا
عَافُوا الدُّنَا وَتَجَافَوْا عَنِ نَضَارَتِهَا
دَارٌ حُلَاهَا تُنْبِي عَنِ حَقَارَتِهَا
فِيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ
سَلَّمْتُ أَمْرِي فَمَا قَلْبِي بِمُعْتَرِضٍ
عَلَى الْمُرَادِ وَلَا بَسْطِي بِمُنْقَبِضٍ
سِرِّي يَلُوبُ وَعَزْمِي غَيْرُ مُنْتَهِضٍ⁽²⁾
إِنْ آتٍ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمٍ
إِنْ صَدَنِي الذَّنْبُ عَنِ تَحْصِيلِ تَصْنِيفِي
وَعَافَنِي الْوَهْمُ عَنِ تَكْمِيلِ تَحْلِيَّتِي
وَلَمْ أَتْلُ مَقْصِدًا مِنْ حُسْنِ تَحْلِيَّتِي
فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ [19ب]
طه نَبِيِّ حَبِيبِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
نُخْرِي غِيَاثِي شَفِيعِي سَيِّدِي سَنَدِي
كُنْزِي مُمَدِّي فَخَارِي سِرُّ مُعْتَقَدِي

(1) في الأشطار إقواء.

(2) سري يلوب: أي: سري يغالبني، ويكاد يفضح، وقد ورد في لسان العرب أن اللوب: استدارة الحائم حول الماء، والحديد الملوَّب: الملوي. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "لوب".

إِنَّ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي فَضْلاً وَإِلَّا فُقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
 هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي فَاحَتْ نَوَاسِمُهُ
 وَهَيَّجَتْ مَنْ هَيَّامُ الْحُبِّ لَازِمُهُ
 قَصَدْتُهُ وَالْحَشَى نَاءً مُلَائِمُهُ
 حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمُهُ أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرِمِ
 وَفِي الْوَفَا وَبَدَتْ مِنْهُ لَوَائِحُهُ
 وَيَبْشُرُ الْقَلْبَ بِالْمَقْصُودِ مَا نَحُهُ
 مِنْ فَيْضِ طَهٍ وَلِي سَبَقَتْ مَنَائِحُهُ⁽¹⁾
 وَمُنْدُ أَلْرَمْتِ أَفْكَارِي مَدَائِحُهُ وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَرِمِ
 رُوحَ لِصَفْوَةِ رَاحِ الْأَنْسِ قَدْ شَرِبْتِ
 عَلَى يَدِ الْمُصْطَفَى لَا عَنَبَ إِنْ طَرِبْتِ
 بَرٌّ هَوَامِي الْعَطَا مِنْ كَفِّهِ انْسَكَبَتْ
 وَلَنْ يَفُوتَ الْعِنَى مِنْهُ يَدًا تَرِبْتِ إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكَمِ [20أ]

هُوَ الْمَجِيدُ الَّذِي إِخْوَانُهُ اعْتَرَفَتْ
 بِفَضْلِهِ وَلَدَيْهِ خِدْمَةٌ وَقَفَتْ
 مَدَحْتُهُ وَصِفَاتِي مِنْ وِلَاهِ صَفَتْ

وَلَمْ أَرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفْتَ يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَتَى عَلَى هَرَمِ⁽²⁾

[الْقِسْمُ الْعَاشِرُ فِي الْمُنَاجَاةِ وَعَرَضِ الْحَاجَاتِ]

يَا قِبْلَةَ الْقَلْبِ مِنِّي فِي تَقَلُّبِهِ
 يَا سِرًّا وَصَلْتِهِ فَضْلاً لِمَطْلَبِهِ
 يَا نِعْمَ غَوْثٍ لَهُ فِي ضَيْقِ مَذْهَبِهِ
 يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَا لِي مِنَ الْوَدُودِ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِيمِ
 حَسْبِي وَلَاؤُكَ لَا أَصْلِي وَلَا حَسْبِي
 وَسَيْلَةُ لِي فِي قَصْدِي وَفِي طَلْبِي
 وَعَيْرُ جَاهِكُ مَا لِي قَطُّ فِي كَرْبِي
 وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ
 يَا سَيِّدَا نَبَدِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتَيْهَا
 وَجَاوَزَ الْحَضْرَةَ الْعُلْيَا وَسِدْرَتَيْهَا
 فَدَنْتَكَ رُوحِي هَبْ لِلْعَيْنِ قُرَّتَيْهَا
 فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَيْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللُّوْحِ وَالْقَلَمِ [20ب]

يَا نَفْسُ لَوْذِي افْتِقَارًا بِالَّذِي كَرَمْتِ
 لِأَجْلِهِ أُمَّةٌ بِالذَّرِّ قَدْ رَحِمْتِ⁽¹⁾

(1) بين هذه الأَشْطَارِ وَالشُّطْرِ الْأَسَاسِ اخْتِلَافٌ فِي الْحَرَكَةِ.

(2) يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلْمَى وَتَنَائِهِ عَلَى هَرَمِ بْنِ سَنَانَ.

يا نَفْسُ لا تَنِيَّاسِي مِنْ رَحْمَةٍ قُدِّمَتْ
يا نَفْسُ لا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ
ما لِلذَّنُوبِ سِوَى الْغُفْرَانِ يَحْسُمُهَا
حَسْمًا يَزِيحُ عَنِ الْأَرْوَاحِ مُؤَلِّمُهَا
وَفِي إِزْلاَحَتِهِ يَأْتِي مُلَائِمُهَا
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسْمِ
يا رَبِّ هَبْنِي عَقْلًا غَيْرَ مُنْطَمِسٍ
وَأَجْعَلْ سُلُوكِي لِقْصْدِي غَيْرَ مُنْتَكِسٍ
وَأَجْعَلْ عَطَاكَ لِقَلْبِي غَيْرَ مُنْحَبِسٍ
يا رَبِّ وَأَجْعَلْ رِجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ لَدَيْكَ وَأَجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ
وَلَا تَغِبْ عَنِّي فُؤَادِي يَا مُؤَهِّلَهُ
لِما عَلِمْتَ وَأَجْزَلُ مِنْكَ حَاصِلُهُ
وَأَمُنْ لَهُ بِالذِّي ما زالَ يَأْمَلُهُ
وَالطُّفُ بَعْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوالُ يَنْهَزمِ [21]
وَأَنْظُرْ لِجَارِيَةِ بِالْفَقْرِ عَالِمَةٍ
وَفِي بَوَادِي الْهَوَى وَالْحَبِّ هَائِمَةٍ
وَلِلْوِفا وَلِطِيبِ الْقُرْبِ دَائِمَةٍ
وَأَذُنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ
أَرْكِي صَلَاةً تُنِيلُ الْقَصْدَ وَالطَّلْبَا
مِنَ الْوِفا وَتُوَدِّي بَعْضَ ما وَجَبَا
وَتُشْهَدُ الْعَبْدَ مِنْ أَلْطافِهِ عَجَبَا

ما رَزَّحَتْ عَدْبَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبَا وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنَّعْمِ

كَمَلَتْ وَتَمَّ النَّحْمِيسُ الْمُبَارَكُ الْمَقْبُولُ بِمِنَّةِ اللَّهِ -تعالى- وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ، وَأَسْعَافِ لُطْفِهِ وَمَدَدِهِ، عَلَى يَدِ الْمُقْتَوِحِ عَلَيْهَا بِنَظْمِهِ، أَفْقَرُ إِمَاءِ اللَّهِ -تعالى- وَأُحْوَجِهَنْ إِلَى مَغْفَرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، عَائِشَةُ بِنْتُ يَوْسُفَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ نَاصِرِ الْبَاعُونِيِّ الشَّافِعِيِّ، لَطَفَ اللَّهُ -تعالى- بِهَا وَبِدُرِّيَّتِهَا فِي الدَّارَيْنِ، وَأَدْخَلَهَا وَإِيَاهُمْ فِي عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَحَزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَاللَّهُ -تعالى- يَتَقَبَّلُهُ بِمَنِّهِ، وَيَجْعَلُهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَسْتُوْدِعُ اللَّهَ دِينِي وَنَفْسِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَأَحِبَّائِي فِيهِ، وَجَمِيعَ ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَهَذَا النَّحْمِيسُ الْمُبَارَكُ، فَإِنَّهُ إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ، فَاللَّهُ خَيْرُ حَفِظًا (2)، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَمَنْهُ نَرْجُو بِمَنِّهِ أَنْ يَزِيدَنَا مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ، وَيَمُنَّ عَلَيْنَا بِدَوَامِ الْإِمْتِناعِ بِدَوَامِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ بِتَحْقِيقِ الرَّجَاءِ

(1) الدَّرُّ: صغار النمل، واحدها ذرَّة.

(2) جاء في سورة (يوسف، 64): "فإنه خير حافظا"، وقد قرئت كما كتبتها المصنفة "حفظا"، أما الأولى فقد قرأ بها حفص وحمزة والكسائي وخلف، والباقون على الوجه الثاني. انظر: البناء اللمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد (1117هـ/1705م)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، 333.

جَدِيرٌ، وَعَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِ الْأَوْلَيْنِ وَالْآخِرِينَ، مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. وَافَقَ الْفَرَاغُ مِنْ كِتَابَتِهِ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ثَانِيِ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَتِسْعِ مِئَةٍ بِمَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ [21ب].

ثبت مصادر التحقيق ومراجعته

المخطوطة:

- الباعونية، عائشة بنت يوسف (922هـ/1516م)، فيض الفضل (ديوانها)، دار الكتب المصرية، (581- شعر تيمور).
- الباعونية، عائشة بنت يوسف (922هـ/1516م)، القول الصحيح في تخميس بردة المديح، مركز جمعة الماجد، دبي، رقمها العام (7335)، ورقم شريطها (فيلما) (1394)، وهي نسخة مصورة عن النسخة المخطوطة المحفوظة في دار الكتب الظاهرية، دمشق.

المطبوعة:

- الآثاري، شعبان بن محمد (828هـ/1425م)، بديعيات الآثاري، تحقيق هلال ناجي، مطبعة وزارة الأوقاف، بغداد، 1977م.
- إدارة البحث والإعداد، تراجم أعلام النساء، دار البشير ومؤسسة الرسالة، عمان، 1998م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (430هـ/1038م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
- الباعونية، عائشة بنت يوسف (922هـ/1516م)، الفتح المبين في مدح الأمين، تحقيق مهدي أسعد عرار، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2007م.
- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1995م.
- البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد (1339هـ/1920م)، هدية العارفين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
- البناء الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد (1117هـ/1705م)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- البوصيري، محمد بن سعيد (695هـ/1296م)، ديوانه، شرح أحمد بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.
- ابن جابر، محمد بن أحمد (780هـ/1378م)، الحلة السيرا في مدح خير الوري، تحقيق علي أبو زيد، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1985م.
- الجبوري، كامل، معجم الشعراء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (1067هـ/1657م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
- حمزاوي، حسن العدوي (1303هـ/1886م)، النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.
- الحنبلي، محمد بن إبراهيم (971هـ/1563م)، در الحبيب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق محمود الفاخوري ويحيى عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، 1973م.

- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق يوسف طويل ومريم طويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- الذهبي، محمد بن أحمد (748هـ/1348م)، **سير أعلام النبلاء**، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003م.
- رابعة، حسن، عائشة الباعونية شاعرة، دار الهلال للترجمة، إربد، 1998م.
- الرعيني، أحمد بن يوسف (779هـ/1378م)، **طراز الحلة وشفاء الغلة**، تحقيق رجاء الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (902هـ/1497م)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ضبطه عبد اللطيف عبد الرحمن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ)، **نظم البديع في مدح خير شفيح**، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، ط1، دار القلم العربي، حلب، 1995م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ/1505م)، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، تحقيق فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، 1927م.
- الشعرائي، عبد الوهاب بن أحمد (973هـ/1501م)، **الطبقات الكبرى (المشهور بلوائح الأنوار في طبقات الأخيار)**، تحقيق عبد الرحمن محمود، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 1993م.
- الشوكاني، محمد بن علي (1250هـ/1834م)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- الصديقي، محمد علي بن علان (1057هـ/1647م)، **الذخر والعدة في شرح كتاب البردة**، تحقيق محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
- الصويركي، محمد، عائشة الباعونية فاضلة الزمان، وزارة الثقافة، عمان، 2006م.
- ابن طولون، محمد شمس الدين (953هـ/1546م)، والميزد، يوسف بن حسن (909هـ/1503م)، **متعة الأذهان من التمتع بالإقران بين الشيوخ والأقران**، انتقاء أحمد بن محمد الحصفكي (1003هـ)، تحقيق صلاح الدين خليل، ط1، دار صادر، بيروت، 1999م.
- الطيب، أسعد، "البردة والأعمال التي دارت حولها: فهرسة"، **مجلة تراثنا**، العددان الأول والثاني [38-39]، السنة العاشرة، محرم الحرام/جمادى الآخرة، 1415هـ.
- العاملة، زينب، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999م.
- عطوي، علي نجيب، **البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
- العلاوي، فارس، **عائشة الباعونية الدمشقية أشهر أعلام دمشق أواخر عهد المماليك**، دار معد، دمشق، 1994م.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (1089هـ/1679م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط2، دار المسيرة، بيروت، 1979م.
- عواد، بولس، **العقد البديع في فن البديع**، تحقيق حسن نور الدين، ط1، دار الموسم، بيروت، 2000م.
- الفاسي المغربي، الحسن بن محمد (1347هـ/1928م)، **طبقات الشاذلية الكبرى**، وضع حواشيه مرسي علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
- قنديل، محمد، **عائشة الباعونية: حياتها وأدبها**، رسالة ماجستير، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1981م.

- الكتبي، محمد بن شاکر (764هـ/1363م)، فوات الوفیات، تحقیق علی معوض وعادل عبد الموجود، دار الکتب العلمیة، بیروت، 2000م.
- ابن کثیر، أبو الفداء الدمشقی (774هـ/1373م)، البداية والنهاية، تحقیق أحمد أبو ملحم وآخرین، دار الفکر، بیروت، ط1، 1992م.
- کحالة، عمر رضا، معجم المؤلفین، مؤسسة الرسالة، بیروت، 1993م.
- المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف (1032هـ/1622م)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقیق محمد الجادر، دار صادر، بیروت، 1999م.
- ابن منظور، محمد بن مکرم (711هـ/1311م)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بیروت، (د.ت).
- النبهاني، يوسف بن إسماعيل (1350هـ/1932م)، جامع کرامات الأولياء، ط1، المكتبة العصرية، بیروت، 2001م.
- هاشم، أحمد عمر، بردة المديح المباركة، دار المقطم، القاهرة، 1995م.
- الهيتمي، أحمد بن محمد (973هـ/1567م)، العمدة في شرح البردة، تحقیق بسام بارود، دار الفقيه، الإمارات العربية المتحدة، د.ت.
- الوائلي، عبد الحكيم، موسوعة شاعرات العرب، دار أسامة، عمان، 2001م.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (626هـ/1229م)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بیروت، د.ت.